المكتبة الأزهرية

مخطوطة

جنا زهرة الآس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس

المؤلف

أبو الحسن علي الجزنائي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تاريخ غرناطة وما يليها
المطلوب منه بحث حالة هذه النسخة
من الجغرافية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي جعل الحمد فاتحة الكتاب وأول كلام الخلق يوم الحساب وآخر دعوى أهل الثواب وصلى الله على سيدنا محمد المختار من لب اللباب وأرضى عن آله وصحبه وأكرم بهم من آل وأصحاب وبعد الله أيام هذه الوزارة السنية العمرية ما تكررت السنون والأحقاب وبعد فخانة لما كان من شيم سيدنا الوزير السعيد الميمون الموفق السديد المبارك الجديد الأعظم الأكرم الأبي الأفخم الأسعد الأطهر الفارس البطل الشجاع الأحمى الهمام الظاهر الأسمى أبو علي بن سيدنا الوزير الكبير الشهير الجليل قدره الجميل ذكره أبو محمد عبد الله بن علي بن سعيد اليابائي الذي سار مسير الشمس ذكره وعلا في الآفاق والأسماع ثناؤه الجميل وشكره وابتدرت أبصار ذوي البصائر إلى الوقت السعيد الذي تجلى فيه بدره لتعرف في تواريخ الدول وأخبار الصدور الأول أردت أن أطالع وزارته السنية وسياسته اليابانية الخصية أسعد الله أعصارها وكثر أعوانها وأنصارها بكتاب مختصر يشتمل على ذكر من أسس مدينة فاس كلأها الله تعالى هذه الأدارسة الحسنيين وبنا جامع القرويين والأندلسيين يكون تذكرة لمن تقدم له في ذلك سلوك وتبصرة لمن أقيم في خدمة الوزراء والملوك بعد أن استخرت الله تعالى في ذكر فالهمة إليه وسهله تبارك وتعالى علي ثم رأيت بتيسير الله تعالى وببركة هذه الوزارة الكريمة التي سرت الرفاق في الآفاق بمناقبها العظيمة وأوصافها الكريمة التي اعترفت لها الله تعالى للوزارة التي اعتبرت لها العناية الربانية صادق موعودها واطلعت أهلة السعادة في أسعد برج سعودها وعلت بابي عليها فصار كل أيام سنيها سنا وشهرة كفيلها والقت وزارته السعيدة بيده الكريمة مقاليدها ورفعت إليه أحاديثها الحسنة وصحت أسانيدها وجرت السعادة أذيالها وأجرت في ميدان الأفراح خيول الاقتراح فمدت مداها فيه ومجالها وأبدت عليه غررها وحجولها حين أجالها فما نأى عن مكارم الأخلاق ولا لها ظلم تك تصلح الآلة ولم يك يصلح الآلها وكيف لا وقد اشتمل اعزه الله على الفضل العظيم والحسب الصميم وحاز من الفضائل أشرف المناصب ومن النسب العربي ما لاح به قمر أو منير فاق أفق المناصب وكل كان

النسب

النسب العربي في طي هذه الوزارة الميمونة من الطائف الله الخفية وصنايعه الحفية ما أظهرت أسراره وبهرت أنواره وعلم العباد أن عناية الله بهم غير مقطوعة وأيادي نعمه لديهم غير ممنوعة وأعطاه الله تعالى من العلم والنباهة والمهابة والشجاعة والكفاية ما سارت به تضرب الأمثال وتسير بحديثه الحسن الصحيح السيارة والركبان ولا يدع أعزه الله من الصفات العزيزة الذكر الدالة على علو الهمة وشرف القدر ما لا تكاثر عد ولا تقطر ولا يدخل تحت العد ولا الحصر

لم لمة لا منتهى لكبارها وعصمة الصغرى أجل من الدهر

والله تعالى يعلي مقداره ويكثر في الصالحة آثاره ولكل ذي نجوى وسيلة يقدمها بين يدي نجواه وخدمة يصدق بها عند الاختبار دعواه قدمت بين يدي نجوى هذه الخدمة بهذا الكتاب وأعددته وسيلة نافعة إن شاء الله لحصول الطلاب والله يجعل موقع ذلك من هذه الوزارة السعيدة الموقع الذي تجلى فائدته وتحمد إن شاء الله عاقبته ويحتوي هذا المختصر على ما ألفيته والله يعصم من الزيغ واللبس

الباب الأول

في ذكر من أسسها من الأدارسة الحسنيين وما جاء من الثناء عليها وعلى سكانها من العلماء المرضيين

هذا الباب يستدعي الكلام على فضل الإقليم الذي هي فيه وحد اتساعه وعظم ارتفاعه وأول من افتتحه وسبب تقدم ولي الله وابن رسول الله إدريس إليه وذكر عقبه الذين اسسوا فاساوا استولوا عليها إلى غير ذلك مما يتعلق به من التنبيه عليه والتذكير بما انضاف من الأمور إليه

أما فضله فقد روى عن سفيان بن عيينة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا بالمغرب بابا للتوبة مسيرته أربعون خريفا لا يغلقه الله تعالى حتى تطلع الشمس من مغربها نقله ابن الرقيق وغيره وفي الصفات الصحاح من رواية سعد بن أبي وقاص وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة وأهل المغرب هم أهل المغرب الذي هو ضد المشرق على أحد الثابت وليست حقيقة المغرب هو المكان الواقع في شق المغرب قال أحد الشعراء

www.alukah.net

الغرب شئ مليح وفي دليل عليه
البدر يرقب منه والشمس تجري اليه

وحكى ابن عجلان في طبقات الاطباء ان ملك اليونانيين كتب الى عامله بارض بابل ان يبعث ببقراط الحكيم بتجيل وتكريم وامره ان يدفع اليه حملة من قناطير الذهب لينقله من الارض التي بها مقامه الى بلد اليونانيين فابى بقراط من ذلك وامتنع وما ذاك الا لتفضل اقليمه على غيره وارض بابل من الاقليم الرابع الذي فاس منه وحكى البونسي المحاكي كتاب المغرب له عن الجرجاني وزير الظاهر لاعزاز دين الله احد ملوك العبيديين ان الظاهر قال لوزيره انى ارى ان اسمع كلام المغاربة فقال له هنا شيخ يعزى بابي مسلم الموفق فقال له اسمعني كلامه فجلس الظاهر خلف حجاب واحضر وزير اعدولته ووجه عن الموفق فلما وصل سلم وقعد وتكلم معه باشياء اضحكه بها الى ان قال له الوزير بلغنا ان الانبياء شبهت بطائر فالمشرق راسه واليمن جناحه الواحد والشام جناحه الاخر والمغرب ذنبه فقال له ابو مسلم صدقوا والطير طاوس فضحك الظاهر وقال احسنت وانصرف

واول بلاد المغرب على ما حكاه صاحب جغرافيا جبال برقة وجبال اوتان في الشرق وهذه الجبال آخر عمل مصر واول عمل القيروان وينقسم المغرب على ثلاثة اصقاع الصقع الاول هو موضع افريقية من جبال برقة واوتان الى جبال بغنوسة الصقع الثاني المغرب الاوسط واوله تاهرت الى سبتة الى جبال درن الصقع الثالث المغرب الاقصى وحده في المغرب بالبحر الاعظم من ماسة الى صحراء المرابطين وهذا الاقليم الرابع كله والاوسط من الاقاليم السبعة التي رسمها بطلميوس الهند وهو اعمرها وفيه ارض بابل وجزيرة العرب وبقية بلاد البربر في قاصي المغرب وبعض صور جزيرة الاندلس كاشبيلية وقرطبة وغرناطة والمرية ومرسية وقعدة مراد ملا عند الله امتدلت ابرار اهله فصلحوا من شقرة الروم وسواد الحبش وغلظ الترك وجفاء اهل الجبال ودعابة اهل الصين فكما اعتدلوا في اخلاقه تطوعوا في الفطنة والذكاء والعلم ذكر معنى ذلك صاحب المدخل وغيره وهذا الاقليم عند الحكما كريم البقعة طيب التربة مخصب العامة كثير العيون والانهار البعيد اب قليل البهائم ذوات السموم ومعتدل الهوا في الفصول الاربعة على قدر متقارب من الاعتدال تتصل غوايده وغواكهه في كل الازمنة

واما حكم

واما حكم ارضه فقال ابو الحسن بن القابسي في شرح موطا مالك رحمه الله في كتاب الجهاد اختلف الناس في ارض المغرب هل افتتحت عنوة او صلحا او مختلطة على ثلاثة اقوال الاول الذي يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك انها افتتحت عنوة لانه جعل فيها المعادن النظر للامام ولو صح ذلك لم يجز لاحد جميع شئ منها كارض حصر وطنجة لانهما افتتحتا بالسيف الثاني قيل صلحا صالحوا عليها اهلها فان كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض الثالث انها مختلطة هرب بعضهم عن بعض فتركوها فمن بقي بيده شئ كان له وهو الصحيح والله اعلم وقال الراوي اي في كتاب الاموال له بعد بسط كلام في ذلك انا الذي يوجبه النظر فيها ان تجري على ما توالت عليه القرون الماضية في امرها وتقر بايدي مالكيها الا ما تواترت فيه الاخبار انه اغتصب او جلي عنه اهله وقال الداودي الحافظ ان ارض المغرب اسلم عليها اهلها ويحكى ان احد عمال المنصور بن ابي عامر حين تغلب على ارض فاس قال لهم اخبروني عن ارضكم اصلح هي ام عنوة فقالوا الاجواب عندنا حتى ياتي الشيخ يعنون ابا جيدة من احد اليزغنيين فجاء ابو جيدة فساله فقال ليست بصلح وان عنوة انما اسلم عليها اهلها فقال لهم خلصكم الرجل وابو جيدة هو المدفون بخارج باب بني مسافر احد ابواب فاس والدعاء عند قبره مستجاب وله نفع الله به كرامات من ارادها الوقوف عليها فليطالع كتاب المستفاد في ذكر الصالحين من فاس والعباد الذي الفه الشيخ الزاوية ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم العبدري المعروف بالكتاني

واما سبب نزول البربر في ارض المغرب من ارض فلسطين من الشام فان ملكها جالوت لما قتله داود عليه السلام جاءت البربر الى المغرب فتفرقت في تلك البلاد من موضع القيروان الى ساحل البحر الاندلسي وكانت هذه البلاد قبل البربر للروم فجاءت الروم اما سلم الى صقلية وهي جزيرة عظيمة في البحر تحاذي بلاد افريقية ثم رجع الافارقة من الروم الى مدائنهم على صلح من البربر اذ كرهت البربر نزول الدائين فنزلوا الجبال والرحال والوعاد فكونهم اصحاب ابل وغنم

www.alukah.net

وبقر وسكان بيوت أدم وشعر فعادت المدن بربرية والجبال والصحارى بربرية وهم يتعبدون على أديان مختلفة ثم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وخلافة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وصدر دولة بني أمية وولاية يزيد بن معاوية منهم عقبة بن نافع اللبوعي على بلاد المغرب في سنة اثنين وستين من الهجرة واستفتح بعضه إلى أن بلغ البحر الأعظم حيث ماسة وادخل فيه قوائم فرسه ثم جعل يقول وعليكم السلام فقيل له على من تسلم يا ولي الله فقال لهم ان قوما عليه السلام سلموا علي فسلمت عليهم ولولا البحر ما يتكلم اياهم واسلم على يديه اذ ذاك بعض من بالمغرب وحين رجع منه ارتد بعض من اسلم ثم ولي الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم موسى ابن نصير على المغرب ايضا في سنة اثنين وتسعين وسار فيه حتى بلغ طنجة وسبتة وجاز البر الاندلس واستفتحه مع مولاه طارق بن زياد واسلم على يديه ايضا بعض من المغرب وحين رجع عنه ارتد ايضا بعض من اسلم الى ان اراد الله ظهور الاسلام في سائر اقطار المغرب حتى لم يبق منه موضع الا وعبد الله فيه بسبب قدوم ولد الله وابن رسوله ادريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه كذا استغربه من كلام البكري وغيره وكان سبب قدوم ولي الله الصالح ادريس بن المشرق الى المغرب ما حكاه محمد بن جرير الطبري وغيره ان السحاق بن عيسى الامير بالمدينة من قبل الخليفة موسى الهادي بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور واستخلف عليها عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فظهر منه مخالفة في احكامه فغير ذلك عليه الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ورفض الناس إمرته واستدعوا حسينا للبيعة فجلس على المنبر وعليه عمامة بيضاء وحار الناس يأتونه ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام وجاء خالد البربري في مائتين من الجند فقتل الحسين فقام اليه ابنا عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهما يحيى وادريس فضرب يحيى على انف البيضة فقطعها وقطع انفه فسقطت عيناه بالدم فلم يبصر فنزل وجعل يذب بسيفه عن نفسه وهو لا يبصر والتدار ادريس من خلفه فضربه وصرعه وعلواه بالسيوف حتى قتلاه ثم قاتل بالمدينة شيعة بني العباس وجابر ملك الترك فاغاثهم واقام الحسين بالمدينة احد عشر يوما واصيب بالمسجد فغدروه ولحق بملكة

وكان

وكان وفد للحج تلك السنة محمد بن سليمان بن علي بن محمد بن عبد الله بن العباس والعباس بن محمد بن علي وموسى بن عيسى في اربعة الاف فارس وعلى المقدم سليمان بن ابي جعفر المنصور فاقاموا فاطلوا وقد ورد كتاب الهادي بتولية محمد بن سليمان الحرب فوجد محمد ابا هاشم اسماعيل بن علي فلما راى العقوم صار معهم فظفر به فقتله ثم قاتل محمد بن سليمان الحسين فهزمه وقتله وقتل اكثر من معه واقام ستة ايام ولم يوار واحتى اكلت لحومهم الطير والسباع وكان ذلك بفخ وهو موضع فيه عين على مسيرة ثلاثة اميال من مكة شرفها الله وكانت هذه الوقيعة في يوم السبت وحادث يوم التروية الثامن لذي الحجة من سنة تسع وستين ومائة وحضرت بعد الوفاة محمد بن سليمان قاتل حسين فجعل جلساده يلقنونه الشهادة وهو يقول

الا ليت امي لم تلدني ولم اكن لقيت بفخ الاحسينا ولا حسن

وفي هذه الوقيعة اقلت ادريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه على ما حكاه المظفر وانشد في ذلك بعض شعراء الوقت

فلا تبكين على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي تركوه ليس بذي كفن
تركوا بفخ غدوة في غير منزلة الوطن
كانوا كراما قتلوا لهما يئن ولا حنن
غسل الثياب من الدرن غسلوا الذلة بعدهم
فلهم على الناس المنن هدي العباد وبحرهم

وصار ادريس رضي الله عنه مع مولاه راشد الى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور فحمله على البريد الى المغرب فوقع لحوقه ببلاد طنجة ثم الى بلد وليلى قاعدة زرهون واستجابت له قبائل البربر وعلا امره وشاع خبره وهذه البلدة قديمة البناء يذكر انها من بنيان التبط وهي المعروفة الآن بقصر فرعون من ارض تعلو الأوربيين وهي متوسطة بين العمارات خصبة كثيرة المياه والغروس والزيتون وكان لها سور عظيم قد بقي بعضه وفيه عبرة للمعتبرين ولما وصل ادريس رضي الله عنه الى بلد وليلى نزل على صاحبها اسحاق ابن محمد بن عبد الحميد الأوربي فاقبل عليه واكرمه وبالغ في بره وكان نزول ادريس رضي الله عنه بوليلى في اول شهر ربيع الاول سنة اثنين وسبعين ومائة فاقام عنده والناس يغدون عليه الى

www.alukah.net

ان دخل شهر رمضان السنة فبايعه جميع قبائل البربر ولما
تمت له البيعة وتمكن سلطانه وعلا شانه اتخذ جيشا عظيما من قبائل
البربر وخرج بهم الى بلاد تامسنا ففتح شالة وسائر تلك الحصون
وسار الى تادلا وافتتح حصونها الى ان بلغ فاسة وكان اكثر اهل
البلاد على دين النصرانية واليهودية والمجوسية والاسلام بها قليل فاسلم
جميعهم على يديه حتى لم يبق بالمغرب موضع يعبد غير الله فيه وقد فتح الصحابة
ومن بعدهم جملة من البلاد ولم يرد الله بها دولة الاسلام دولة الغرس في
العراق وخراسان ودولة الروم بالشام ودولة القبط بمصر واوايل
الهند واقصى الاندلس وبلاد البربر وذلك مما اخبر الرسول عليه السلام
انه يكون فانه جاء في الصحيح انه قال زويت لي الارض فاريت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها ولما نزل ادريس رضي الله عنه
بفارج تلمسان راتاه اميرها محمد بن خزر بن المغراوي الخزرجي وبايعه من
هناك من القبايل ودخل تلمسان واستقل له امارة المغرب باسره
اتصل ذلك بالرشيد وخاف واغتم لذلك وخشي ان يتوجه لافريقية فيصل
اليه لما علم من فضله وكمال محبة الناس فيه من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبعث اليه الرشيد من يقتله واختار لذلك سليمان بن جرير البجلي فخرج اليه
من بغداد حتى وصل المغرب وقدم على ادريس بمدينة وليلي فسلم عليه
سليمان وسال ادريس عن اسمه ونسبه وعن اي البلاد قدم وما
سبب قدومه الى المغرب فذكر له انه من بعض موالي ابيه وانه اتصل به
خبره فاتاه بزرسم خدمته لاجل محبته وولايته لاهل البيت اذ لا يعدل
بهم احد ولا يقاس بهم سواهم فانس به ادريس وسكن الى قوله وكرم
مثواه فكان ادريس لا يقعد ولا ياكل ولا يشرب الا معه ولم يزل يرقب
الفرصة ويحتال الحيلة في قتله فلم يجد الى ذلك سبيلا لما الاه مولاه راشد
لانه لا يزايله ولا يفارقه الى ان نعا راشد ذات يوم في بعض شؤونه
فدخل اليه فوجده وحده فقال له يا سيدي جعلت فداءك اني
جيت من المشرق بقارورة طيب لا اتطيب بها ثم اني رايت ان الامام
اولى بها مني فخذها لتتطيب بها فقد آثرتك بها على نفسي ثم اخرجها
من وعائها ووضعها بين يدي ادريس فاخذ ادريس القارورة
وفتحها وشمها فلما رآه سليمان فعل ذلك وتحصل له مراده منه وتمت
حيلته جعل يتململ من المجلس وخرج كانه يريد قضاء حاجة الانسان فصار
الى منزله

الى منزله وركب فرسه من ساعته الخيل كان قد اعده لذلك وخرج من تلمسان
يطلب النجاة وكانت القارورة مسمومة فلما استنشق ادريس
الطيب الذي بها صعد السم الى دماغه فغشي عليه
وسقط ميتا رحمه الله ورضي عنه في صبيحة شهر ربيع الآخر سنة خمس
وسبعين ومايتين فكانت ايام دولته سنتين وثمانية اشهر على ما حكاه
الكثير من مماليكه قال شاعرهم فيما قال الظغري

اتظن يا ادريس انك ميت ... كيد الخليفة ان يعيك فرار
او ان تحل ببلدة لا يهتدي ... فيها اليك قرار
ان السيوف اذا استقاها ساخط ... طالت فتقصر دونها الاعمار
ملك كان الموت يتبع امره ... حتى يقال تطيعه الاقطار

ودفن ادريس رضي الله عنه بخارج باب وليلي ولم يزل الناس يستشفون بزيارة
قبره ويدعون الى الله من الخوارج فيستجاب لهم وظهر جنده بكفنده في
سنة ثمان عشرة وسبعمايه وازدحم الناس عليه من ساير اقطار المغرب
حتى خيفت الفتنة بسبب ذلك فبعث مولانا امير المومنين ابو سعيد
ابو يعقوب بن عبد الحق تقبل الله اعمالهم جيشا لتفريقهم عنه وتعميم
الفتن كذا وقف عليه من امر سلطانا يقتضي ذكره ولما توفي الامام
ادريس رضي الله عنه ترك جارية له معولة من بلاد البربر اسمها كنزة حاملا
فولدت من اشهر حملها وحين دنا وضعها ولدت ولدا ذكرا اشبه الناس بابيه
ادريس وذلك في رجب سنة خمس وسبعين ومايه فسمي باسم ابيه وقام
راشد بامره واهل البربر وكفله الى ان فطم وشب وادبه احسن ادب واقراه
القرآن فحفظه ولم من السن ثمانية اعوام وعلمه السنة والفقه والشعر
واخبار العرب وحكمها وسير الملوك وسياستها ودربه ركوب الخيل
والرمي بالسهام ومكايد الحروب ولما اكمل له من السن احدى عشرة
سنة اخذ له مولاه راشد البيعة من ساير قبايل البربر فبويع له بجامع
مدينة وليلي في يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين ومايه
فعقد بذلك من هذا ان مدة بقية حمل امه به بعد وفاة والده وهو ثمانية اشهر
له عشر سنين وعشرة اشهر وحين اخذت له البيعة صعد المنبر يخطب
الناس في ذلك اليوم فكان مما قال الحمد لله احمده واستغفره واستعين
به واتوكل عليه واعوذ بالله من شرور نفسي وسوء عملي من يهده الله فلا
مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله الى الثقلين بشيرا ونذيرا

www.alukah.net

وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اصلى الله وعلى آله الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ايها الناس انا قد ولينا هذا الامر الذي يضاعف للمحسنين فيه الاجر وللمسيء الوزر ولنا فيه نية ومحبة والحمد لله على طريق قاصر فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا فان الذي تطلبون منه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا ثم دعا الناس الى بيعته وحضهم على التمسك بطاعة الله وطاعته فعجب الناس من فصاحته وبيانه ورصانة عقله وبلاغته ثم نزل فسارع الناس الى بيعته وازدحموا عليه يتبلغون بيده فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة ومزيرية وصنهاجة وغمارة وسائر البربر وتمت له البيعة واستقلت الناس اليه وتوكدها بحمل كبير سلطانه وقويت جنوده واشياعه وعظمت جيوشه واتباعه وحماية ذكر عنه انه قال في حال قتاله لمن عانده

الست ابونا هاشم شد ازره ... واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ... ولا نشتكي مما يؤول الى النكب
وكنا اهل الخافقين وانتم ... اذا اطار ارواح الكماة من الرعب

وقصد الناس نحو الامام ادريس بن ادريس من كل مكان ووفدوا عليه من سائر البلدان وكان ممن وفد عليه نحو الخمسماية فارس من افريقية والاندلس من القيسية والازد والخزرج وبني يحصب والصرف وغيرهم فسر ادريس رضي الله عنه بعدادهم واجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم فانه كان فويدا بين البربر وليس معه عربي ولما رأى ادريس رضي الله عنه ان الامر قد استقل له وعظم ملكه وكثر جيشه وحاشيته بهم مدينة وليلي عزم على الانتقال منها واراد ان يبني مدينة لنفسه يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه اهل دولته فركب بعد الاستخارة مع خاصة من قومه وجال جملة من النواحي الى ان بلغ جبل صالح فعزم ان يبني به مدينة عظيمة فظهر له ان الغمام تسكن به زمن القيظ فانتقل لوادي سبو وعزم ايضا ان يبني به مدينة فظهر له ان الرعد تصل اليها زمن المطر وما زال يرتاد حيث يبني واستشار وزيره عمير بن مصعب الازدي ليوتاد له موضعا للمدينة فسار عمير في جماعة من قومه لينظر ما طلب فاخترق تلك النواحي الى ان نزل

على عين

من ماء غزيرة مطردة في مروج نضرة فتوضأ منها هو ومن كان معه وصلى بهم حيثما ثم دعا الله تعالى ان يسعده على ما طلبه وان يدله على موضع يرتضيه لعبادته فسميت العين بعين عمير الى الان ثم انه ركب وتوجه يختبر بحصن الماء يس ليطلب ما خرج اليه حتى وصل الى العيون التي ينبعث منها نهر فاس فرأى عيونا كثيرة تزيد على ستين عنصرا وسماها تطرد على رضراض من فسيح من الارض وحول العيون شعراء من الكرفاء والطحلب والعرعار والكرخ وغير ذلك فدلته ذلك على جودة ماء تلك العيون بعد ان شرب من الماء واستطابه وقال هذا ماء عذب وطعم معتدل ومحل كثير المنفعة لاجل ما جاوره من الاشجار وبحاراي من المزارع ثم سار مع مسيل الوادي حتى وصل الى موضع مدينة فاس فنظر الى ما بين العدوتين فراى عيضة ملتفة الاشجار مطردة بالعيون والانهار وفي مواضع منها خيام من شعر يسكنها قبائل من زناتة يعرفون بزواغة وبني يرغث فرجع عمير الى الامام ادريس رضي الله عنه واعلمه بما راى من الارض وما استحسنه من كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هواها وصحتها واعتدالها فاعجب الامام ادريس ما رأى من ذلك وسال عن مالك الارض فقيل انهم قوم من زواغة يعرفون ببني الخير فقال له الامام ادريس هذا فال حسن وبعث اليهم واشترى منهم موضع المدينة بمئة الاف درهم ودفع لهم الثمن وانعقد الاشهاد بينهم بذلك في رسم من انشاء كاتبه ابي الحسن عبد الله بن مالك المالكي الانصاري الخزرجي وذلك في سنة احدى وتسعين ومائة ثم الى الامام ادريس ضرب اخبيته وقبابه بالموضع المعروف بجرواوة من عدوة الاندلس ودور عليه خندقا واوة من الخشب فسمي الموضع بجرواوة الى زماننا هذا ثم انتقل بعد ذلك الى الموضع المعروف بالمغرب مرة من عدوة القرويين حيث دار القيطونين المتصلة بمسجد الشرفا ثم شرع في البناء حسبما ذكر بعد بحول الله تعالى كذا ذكره ابن الاقيق وغيره فمن فضل هذه المدينة وشرفها ما تقله اهلها خلفهم عن سلفهم انه وجد في كتاب دراس ابن اسمعيل المكفي بابي ميمونة بخط يده رحمه الله تعالى حدثني علي بن ابي مطر بالاسكندرية قال حدثني محمد بن ابراهيم بن المؤانز عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن انس عن محمد بن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون بالمغرب مدينة تسمى بفاس اقوم اهل المغرب قبلة واكرمهم صلاة اهلها على السنة والجماعة

ومنهاج الحق لائز الوفي متمسكين به لا يضرهم من خالفهم يد فتح الله عنهم
مايكرهون الى يوم القيامة وابن مطر هو ابو الحسن علي بن عبد الله بن
ابي مطر من ولد ابي موسى الاشعري وكان مجاب الدعوة يتوخى بالاسكندرية
سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة كذا نقل عياض في مداركه ودفن رحمه
الله ورضي عنه من ادخل علم مالك رضي الله عنه بلاد المغرب فانه كان
الغالب عليه في القديم مذهب الكوفيين الى ان دخل علي بن زياد والبهلول
ابن راشد وبعدهم اسد بن الفرات وغيرهم من الحافظين لمذهب مالك فاخذه
كثير من الناس فلم يزل يفشو الى ان جاء سحنون فنفض حلق المجالس واستقر
المذهب بعده في اصحابه فشاع في اقطار المغرب الى وقتنا هذا واما
اهل الاندلس فكان رأيهم منذ افتتحت على رأي الاوزاعي الى ان رحل الى مالك
زياد بن عبد الرحمن وقد عرس ابن العباس ومن بعدهما فجاؤا بعلم مالك وابانوا
الناس فضله واقتدوا الائمة به فعرف حقه وادرس مذهبه الى ان اخذ امير
الاندلس الزناتي هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان
الناس جميعا بالتزامهم مذهب مالك وغيره القضاء والفتيا عليه وذلك في
عشرة السبعين ومائة في حياة مالك رحمه الله وشيخ المفتين حينئذ
صعصعة بن سالم امام الاوزاعية وراويته وقد لحق به من اصحاب مالك
جملة وادخل
حيزه فالتزم الناس هذا المذهب وجعلوا يسفهون غيره جملة وادخل
فيها قدم من الرحالين والغرباء شيأ من مذهب الشافعي وابي حنيفة
واحمد وداود ولم يمكنوا من نشره فاتت لموتهم على اختلاف ازمانهم
الامن تدين به في نفسه من لا يوثق بقوله على ذلك معنى الاندلسيين الى
وقتنا هذا وسمي دراس لكثرة درسه العلم اهله من مدينة فاس سمع
من شيوخها ومن اقربيته من ابن بكر بن اللباد وغيره وبالاندلس من
شيوخها وله رحلة حج فيها وسمع من علي بن ابي مطر بالاسكندرية كتاب
ابن المواز وحدث به بالقيروان سمع منه ابو محمد بن ابي زيد وابو
الحسن بن القابسي وغيرهما ودخل ايضم الاندلس مجاهدا وحاطبا فاتحة دو
بها في الثغر فسمع منه ابو الفرج عبدوس من داخلها وخلف بن جعفر وغير
واحد وكان ابو ميمونة من الحفاظ المعدودين والائمة المبرزين من اهل الفضل
والدين ممن له الامانة لمذهب مالك رضي الله عنه توفي بفاس سنة خمس
وخمسين وثلاثمائة وقبره بمقبرة باب الجيزيين منها معروف والدعاء
عنده مجاب ولبناء مسجد يعرف به وقد جدده مولانا المتوكل ابو عنان
رحمه الله وجعل هناك رخامة منقوشة باسمه وتاريخ صوته ونصبت عند

براسم سنة اربع وخمسين وسبعمائة واخبر ابن القطان انه رجل من اهل المغرب
قال له سنة سبع وخمسين وثلاثمائة تمت بالمرصاد تقرأ بيت السماء والارض
تبكيان متى مثلت ماهذا فقيل لي مات ابو ميمونة وكان كذلك وكثيرا طلعان
ينشد

غفلت وحادي الموت في اثري يحدو ... وانكم ارجع حيا فلا بد ان اغدو
اراي العمر قد ولى وحكم البلغ المنحو ... وليس معي زاد ولي سفري بعد
انعم جسمي بالباس وليبنه ... وليس لجسمي من قميص البلا بد
كان به قد حل في بر زخ البلى ... ومن فوقه ردم ومن تحته لحد
وقد ذهبت مني المحاسن واغتدت ... ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد
فكيف اذا بالنار يارب قربت ... وناري لا يقوى لها الحجر الصلد
عسى غافر الزلات يغفر زلتي ... فعفو يغفر العرش اذ ذئب العبد

نقلت اكثر هذا الفصل من المدارك وغيره ومن اراد الوقوف على اكثر من ذكر فليطالع
كتاب المستفاد في ذكر الصالحين من فاس والعباد ولما عزم الامام
ادريس رضي الله عنه على بناء مدينة فاس بعد ان اختبر تربتها وهواءها
وريا حها ومياهها وتحقق بعد هاس الصخور والحجارة والشاخة والشاخ
العبقة وعلم ان ذلك مما يأمن به سكانها رفع يديه الى السماء وقال اللهم اجعلها
دار علم وفقه يتلى فيها كتابك وتقام به سننك وحدودك واجعل اهلها
متمسكين بالسنة والجماعة ما ابقيتها ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
ثم اخذ المعول بيده وابتدأ يحفر الاساس واتبعه الفعلة في ذلك
فلم تزل دار علم وسنة وذكر ابن غالب في تاريخه ان الامام ادريس
رحمه الله حين عزم على بناء فاس واختطاطها مر به شيخ كبير من الرهبان
كان مترهبا في صومعة قريبة من تلك الجهات فوقف للامام ادريس رحمه الله
وسلم عليه قال له ايها الامير ما تريد ان تصنع بين هذين الجبلين قال
اريد ان اختط بينهما مدينة لسكناي وسكنى ولدي من بعدي يعبد الله
تعالى فيها ويتلى فيها كتابه وتقام حدوده، فقال له ايها الامير ان ذلك عندك
في ذلك بشرى قال وما هي ايها الراهب قال انه اخبرني راهب كان قبلي في
الدير هلك منذ مائتي سنة انه وجد في كتب علمه انه كائن بهذا الموضع مدينة
تسمى سافا خربت منذ الف سنة وانه يعيدها ويحيي اثرها ويقيم
دارها رجل من آل بيت النبوة يسمى ادريس ويكون لها شان عظيم
وقدر جسيم لا يزال دين الاسلام قائما فيها الى يوم القيامة فقال ادريس

www.alukah.net

الحمد لله انا ادريس وانا من آل البيت النبوي وانا باني بنيها ان شاء الله تعالى فكان ذلك حاقوى عزمه على بنائها ويدل على صحة ذلك ان رجلا من اليهود احتفر اساسا لدار يبنيها بقنطرة عدلية من المدينة المذكورة والموضع يومئذ مقبرا بالطحش والبلوط وغير ذلك فوجد في الاساس قطعة رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالخط الهندي هذا موضع حمام عمر الف سنة ثم خرب فاقيم موضعه بيعة للعبادة كما قال عمر بن ابي ربيعة

فقلت اشمس ام مصابيح بيعة بدت تلك خلف السيف ام انت حالم

واختلف لم سميت فاس فقيل ان الامام ادريس لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيده مع الصناع والفعلة فصنع له بعض خدمه فاسا فذهب فكان يمسكه بيده ويبدأ به الحفر ويحيط به الاساسات للفعلة فكثر ذكر الفاس على السنتهم في طول مدة البناء فكان الفعلة يقولون هاتوا الفاس خذوا الفاس احفروا بالفاس فسميت مدينة فاس لاجل ذلك قاله صاحب الاستبصار وهذا والله اعلم لا يصح لان ادريس رضي الله عنه لا يجهل ان استعمال الذهب محرم على الرجال ويقال انه لما شرع في حفر اساسها من جهة القبلة وجد في الحفير فاسا كبيرا طوله اربعة اشبار وسعته شبر ونيف ستون رطلا من عمل الاوائل فسميت المدينة به واضيفت اليه تفاؤلا بمعناه المنظور وقيل انه لما تمت بالبنا قيل للامام ادريس كيف تسميها قال اسميها باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها الذي اخبرني الراهب انه كان هنا مدينة ازلية من بنيان الاوايل فخربت قبل الاسلام بالف عام وكان اسمها مدينة سافو ولكني اقلب اسمها الاول واسميها به فجاء منه فاس فسميت به كذا نقله ابو الحسن بن عبد الله بن ابي زرع في كتابه المسمى بالانيس وكان تاسيس مدينة فاس على ما ذكره المورخون الذين عنوا باختيار مبانيها وبحثوا عن امورها واحوالها على نحو ما ذكر احد عدوة الاندلسيين فانها اسست في يوم الخميس منتصف شهر ربيع الاول سنة اثنين وتسعين ومايتين واقام الامام ادريس منها بالموضع المعروف بجدواوة حيث نزل باخبيته وقبابه وابتدأ سورها

سورها من جهة القبلة وفتح هناك بابا سماه باب القبلة ثم مر بين الموضع المعروف بالغوارة وموضع زيتون بن عطية وفتح هناك بابا سماه بباب المغنية كان يقابل باب الفرج من عدوة القرويين ثم مر بالسور الى الشبونة وفتح هناك بابا سماه باب الشبونة كان يقابل باب الفصيل المعروف الآن بباب المغنية من عدوة القرويين ثم مر بالسور الى راس جحر الفرح وفتح هناك بابا سماه بباب ابي سفيان ثم مر بالسور على جدواوة وفتح هناك بابا سماه بباب الكنيسة ويعرف الآن بباب الخوخة وبخارجه كان يسكن المرضى لتكون رواحهم تحت الريح الغربية فانها المقابلة لفاس وليكون تصرفهم من الماء بعد خروجه من البلد ولا يحل من ضررهم للمدينة شئ ثم انتقلوا من الموضع المذكور للموضع المعروف باب الشريعة فوق من الجماعة وكانوا يتصرفون بالماء الذي بأعلا المدينة فرفع لمولانا امير المسلمين ابي يوسف بن عبد الحق رحمه الله ان ذلك يضر بالناس فامر بانتقالهم للموضع بظاهر برج الكوكب وهو الموضع الذي فيه سكناهم الآن ثم مر بالسور الى ان وصل باب القبلة المذكورة وقد استدار بهذا السور ثم بنى جامعا للخطبة بقرب رحبة البيضا ويعرف بجامع الاشياخ واما عدوة القرويين فانها اسست في مستهل شهر ربيع الاول سنة تسعين واقام الامام ادريس منها بالموضع المعروف بالمقرمدة ويعرف الآن بدار القيطون ويقرب مسجد الشرفا حيث سكن جعفر ادريس رضي الله عنهم وابتدأ سورها من راس عين علون وفتح هناك بابا سماه باب افرقية وبه يعرف الآن وجدده مولانا المستعين بالله ومد سوره في شوال سنة ستين وسبعمائة وكان حول العين التي هناك غيضة عظيمة يقطع بها عبد اسود اسمه علون فرفع ذلك للامام ادريس فضرب باعلى شجرة هناك اليوم ان تقطعت اسلاؤه فسميت العين باسمه ثم مر بالسور الى عين دمر الصغرى وفتح هناك بابا سماه بباب العقوس ومر بالسور الى اعلال وفتح هناك بابا سماه باب الفصيل وهو الذي ذكرنا انه يعرف بباب النقبة ثم مر بالسور مع صفة الوادي وفتح هناك بابا سماه بباب الحديد وليست هي المعروفة

المسلمين

بذلك الان ثم مر بالسور لاعلى عقبة الجرف وفتح هناك بابا سماه باب القطعة ثم مر بالسور حتى وصل به باب الجريتية المذكور وقد استدار بهما السور ثم بنى جامعا للخطبة متصلا بمنزله وهو المعروف الآن بمسجد الشرفا وكان الامام ادريس رضى الله عنه لما انشأ ذلك امر الناس ببناء الدور والغرس وناداى فيهم ان كل من بنى موضعا واغترسه قبل تمام السور فهو له هبة لله تعالى فيظهر من هذا والله اعلم انه من بنا شيأ بعد تمام السور انما يكون له باستيجار الارض وهو سبب الجزاء فى بعض جهاتها ولما فرغ الامام ادريس رضى الله عنه من بناء اسوار المدينة وجامع خطتها انزل القبائل الوافدين عليه من جزيرة الاندلس بالعدوة الشرقية منها فسميت بذلك عدوة الاندلسيين وانزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية منها فسميت بذلك عدوة القرويين ثم امرهم بزيادة البناء والغرس فبنا الناس الدور والمساجد والحوانيت وغرسوا جانبى الوادى من صدعه بعض اساس الى قنطرته من شرقيه سبعا بانواع الاشجار وضروب الثمار وحوت سائر انواعها بانواع الزراعات فعمرت الارض بالفراسة والحراثة وظهر صلاح ذلك وانتفاع بغلاته فى اقرب وقت فكثرت الخيرات وزادت العمارات وقصدها الناس من جميع البلاد والجهات والاصقاع وسكنها النفعها والعلماء والتجار والصناع ولما سكنت مدينته واستقامت رعيته وحضرته الحكمة صعد المنبر فخطب الناس ثم رفع يديه فى آخر خطبته وقال اللهم انك تعلم انى ما اردت ببنا هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة وانما اردت ان تعبد فيها ويتلى بها كتابك وتقام حدودك وشرايع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا اللهم وفق سكانها وقطانها للخير واعنهم عليه واكفهم مؤنته اعدائهم وادر عليهم الارزاق واحمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شئ قدير فامن الناس على دعائه فكثرت بالمدينة الخيرات وظهرت البركات واقام الامام ادريس رضى الله عنه سبعا كتابها الى سنة سبع وتسعين ومايتين فخرج الى غزو من بقى من الكفار بنفيسة وبلاد الصامدة ورجع الى مدينة فاس واقام بها الى شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومايتين فخرج منها الى مدينة تلمسان لتكون الحكمة واحدة فى اعتزاز الدين وظهوره فغلب عليها واقتطعها ونظر فى احوالها واصلح امورها وجامعها الذى بناه احد ابن يزيد وصنع فيها منبرا وكتب اسمه فيه كذا نقل ابن غالب وصاحب الانيس وقال الوراق فى معتباته وخلف جامع تلمسان لستة خمس وخمسين واربعمائة

فرايته

فرايت فى راس منبرها الرخام بقبة منبر قديم قد سمر هناك وعليه مكتوب هذا ما امر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنه فى شهر محرم سنة تسع وتسعين ومايتين فخرج منها الى مدينة تلمسان ثم رجع الامام ادريس رضى الله عنه الى مدينة فاس فلم يزل بها الى ان توفى رحمه الله تعالى فى اول شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين ومايتين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وثمانية اشهر لا استقر آفاقت ايام كفالة راشد له وبقيته خمسة عشر سنين واربعة اشهر وايام امارته سبعا وعشرين سنة وذكر انه دفن بمسجد الشرفا بارز الى الخانط الشرقى منه وقد انشد بعض شعراء فاس فى قصيد طويل فى ذلك

مدينة ادريس بن ادريس التى ... بها قبره ثاو ومنبره مبنى

فنازل آل الله وآل رسوله ... فاحببهم اهلا واحببهم معنى

وكان سبب وفاته على ما قاله البكرى انه اكل عنبا اخضر فاجبته حمة فمات من حينه رحمه الله تعالى وخلف من الولد على ما ذكره ابن حزم فى جمهرته ثلاثة عشر ذكرا ادريس واحمد وعبد الله ويحيى والحسن والحسين ومحمد وعبيد الله وداود وعيسى وعمر وجعفر والقاسم وقيل وعزة وقيل اكثر من ذلك فولى بعده محمد وهو اكبرهم وما زال اكثر حفدة الامام ادريس بن ادريس قاطنين بمدينة فاس منذ اسست الى زماننا هذا محمولين على البر والاكرام والمحاشاة والاحترام والرعى الستدام على مر الليالى والايام يتبوءون من الناس بشهادتهم فى الصدقات ويتقبل سعيهم فى الشفاعات ويستقون باطفالهم فى الاستسقاءات

او لو طهارة اصحاب اذا انتسبوا ... أبدا المدور ابتهاجا طاهرا فخروا

تعارثوا المجد عن اباتهم فلهم ... فوق الثريا ترب فى حضيضها طهروا

اذا تضوع نشر المجد عن عبق ... فاعلم بانهم فى حيثه ذكروا

وقد بلغ مولانا ابو الحسن رحمه الله فى الاحسان بجمع الشرفاء الغرباء فيها والبعداء وبعث قاضى حضرته الاشهر وعالمه الاكبر ابا سالم ابراهيم ابن ابى زيد عبد الرحمن بن ابى محمد رحمه الله تعالى لسائر بلاده مميزا لاعيانهم ومختبرا لانسابهم حتى ثلج صدره بعميم نسبهم وخريم حسبهم واقتدى مولانا المستعين رحمه الله بابيه المرحوم فى بره والانعاس بقربهم فقضى حرايتهم وقرب مكانتهم وقضى حاجتهم واعلى منارهم وراعى وسائلهم واجرى لهم الارزاق السنية ويعدهم بالصلات السنية

www.alukah.net

واختارهم اقربهم نسبا واطهرهم انا واباوانضرهم عودا واطولهم عمودا
واجودهم جودا واكرمهم جدودا وقدمه رئيسا عليهم ومقدما اليهم ومرضيا
له في امرهم صونا لكبير قدرهم وهو سيدنا الشريف الطرفين المراكي الاصلين
السامي الفخار المجد الكثير السواد العريق النسب الشريف الحسب زو
النفس الوفية والشيم الزكية والاخلاق المرضية مزيد المحامد وجامع الفضائل
صدر المجلس حيث استقر به احتفاله والمعظم في بساط الملك حيثما توجه آراؤه
وتسمح اقواله اخر آية الشرف بيدين وحاز قصب السبق في كل حلبة
فنابها من يدين الذي طابت اصوله وطالت فروعه ولم يزل الى العلى
الصالح نزوله ابو عبد الله محمد

فما مثله يخفى هو الشمس رفعة ... وغير اوشراق وهل تجهل الشمس
انار به اهاو كل حلالة ... وفاضت بو بل الجود انملة الخمس

ابن سيدنا ومولانا الى الله تعالى الشريف الطاهر الاركان المتيمم بسيما
الايمان صوارم الملاوجر ومشرنبل ظلام الليل لقياحه وهو للكرم
ماجر في المحامد والمآثر والمناقب والمفاخر ابو عبد الله محمد

سمت بروق وصبت لم يدع امرا ... للعز منتسبا الا تجاوزه
اذا رايت اريت العين قوتها ... فما تطيق جلالا او تجاوزه

ابن عمران بن عبد الواحد بن احمد بن علي بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن
حمود بن يحيى بن ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى الجوطي بن القاسم بن
ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه لينظر في امورهم وكافة شؤونهم وليكونا عليهم اخاذا مره فيهم
اسنى ولتتصرفا بنظره انتسابهم وتتعرف بعرفته احسابهم وليلا
يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج خارج عنهم وينزعهم عن الحاسب الدنية
وينعلهم بنا المطامع التي ليست بمرضية وان يكفهم عن ارتكاب المآثم
وينعلهم عن اقتراب المحارم ليكونوا على الدين الذي نصروه اعز ولله
الذي ازال العز انكر فلا يطيق بذمهم لسان ولا يشنأهم انسان
نفعنا الله بحبهم وحشرنا في حزبهم ولله در القائل

حب آل النبي خالط لحمي ... وجرى في دمي جريان عذاري
انا والله مفتخر في هواهم ... عالمون بذكرهم عالمون

ولو ذهبت استيفاء مناقبهم الجليلة ومآثرهم التي افردتهم بكل فضيلة لملأت
من ذلك الاوراق ولم ادرك الاما يقع الاجماع عليه والاتفاق فلنرجع
الى ما كنا بصدده من هذا الكتاب والله الموفق للصواب فمن احسن ما قيل في
ذكر محاسن فاس

يا فاس منك جميع الحسن مستراق ... وساكنوك بسهنيهم لقد رزقوا
هذا نسيمك ام روح لراحتنا ... وحاوك السلسل العاتي ام الورق
ارض تخللها الانهار واخلصها ... حتى المجالس والاسواق والطرق

وقال آخر

فلعقد اعارته الجنة طوقها ... وكساه حلة ريشه الطاووس
وكانما الانهار منه سوارة ... وكان ساحات الديار كؤوس

وقال آخر

يا عدوة القرويين اكرمت ... لا زال جانبك المجبور مخصبا
ولا سر الله عنها ثوب نعمته ... ارجا تجنبت الآثام والوزرا

وقال آخر يمدح فاسا ويفضلها

تسود على بلاد الله فاس ... وحق لها بما خصت تسود
كفاها ان اقام بها مليك ... عظيم القدر ليس له عنيد
اليس لها على البلدان فضل ... وتاتيها الركائب والوفود
اليس لها صحاري الارض تجبى ... وعنها لا تميل ولا تحيد
اليس ترى عباد الله طرا ... وكلهم لمالكها عبيد

وللفقيه القاضي الكاتب البارع ابي عبد الله محمد بن ابي عبد الله المغيلي يصف
فاسا ويتشوق اليها حين ولي القضاء ببدينة أزمور

يا فاس حيا الله ارضك مرقدا ... وسقى ثراك من الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي اريت على ... حمص بمنظرها البهيج الاجمل
اف على غرف وبحرى تحتها ... هذا الذ من الرحيق السلسل
وبساتر من سندس قد زخرفت ... بجد اول كالايم او كالفيصل
وجامع القرويين كم ذكره ... انس تذكره يهيج تململي
وبعدوة زين المصيف محاسن ... متع العشي الغرب فيها استقبل
واجلس ارادا الخضة الحسنى به ... واكرع بها علما فديتك وانهل

وقالت الحكما لاستوطن الا بلد فيه سلطان حاضر وطبيب ماهر ونهاي جار
وقاض عادل وعالم عالم وسوق قايمة وقالت الحكما ربع احسن
موضع جلت المدن جمع جمته اسيا وهي النهر الجاري والخصب
الطيب والخطب القريب والسور الحصين والسلطان القاهر بالصلاح

www.alukah.net

لعلة أش

عالمها وتأنق سبلها وكفى جبابرتها وقد جمعت مدينة فاس هذه الخصال التي هي
كما الدنانير وشرفها وزادت عليها محاسن كثيرة ومفاخر منها بثبات أقدمها عهدها
المعروف بسهر الجوهر الذي باعلاها بخوستة أميال وهو يخرج من خوستين عنصرا
أحليها ينبعث من جهة القبلة وبعضها من جهة المغرب مسافتها المشرق الشمس وله
منظر عجيب لضفاته وانهماله على الأرض فيجتمع ما يخرج من تلك العناصر من المياه
فيصير نهرا كبيرا أيكا لا يتبين بحوي المائة لاستواء أرضه وحوله بنت الكرفس
والسعد آذن مروج مخضرة لا تزال كذلك فصول السنة الى ان يتخدر الى البلدة
فيقتسم في داخلها على جداول كثيرة فيسقي اكثر جهاتها ويتشعب في داخلها فيستقي
به في مساجدها وسقايا تها ودورها وادر جائها وحماماتها وسقي جناتها ثم يخرج منها
وقد حمل اثقالها لسائر فضلاتها وكان مولانا امير المسلمين ابو سعيد كرم الله وجهه
يعجبه موضع عناصر هذه الوادي وامر ببناء دار تكون للنزهة هناك وشرع
في بنائها ثم منع من تمامها موانع وليس لهذا النهر نظير لضفاته وعذوبة
مائه وخفته وبرودة صيفه في زمن الصيف وسخانته زمن الشتاء وهو
يسخن سريعا ويبرد سريعا وينهضم سريعا وهذه الصفة محمودة عند الاطباء
ويخرج منه الصرف الثمين الذي يقوم مقام الجوهر ولذلك سمي وادي الجوهر
ومن منافعه انه يغتسل به ويداوم على شربه ويلين البشرة ويغسل به
الثياب دون صابون فيبيضها ويكسبها عرفا وتعاورا حية طيبة وبعد جدا فيه
السراطين المسلطة في الاودية وليست توجد في غيره الا نادرا ويخرج منه
انواع الحوت اللسي والبوتي والسياح والبوقة وذلك كله حوت لذيذ
المطعم ومنها ان جماما العيون والآبار والانهار فصياء العيون والآبار
عذبة صافية باردة في الصيف حين يراد ذلك منها ومياه الانهار بعكسها
سخنة في الصيف باردة في الشتاء فلا تزال الا السخن والبارد موجودين
في كل زمان وذلك مما يعين على التطهير والتنظيف ومنها قرب المعادن
لها كالملاحة التي بحشر الشاطئ الى وادي تكنس وبينهما في المسافة ثمانية
عشر ميلا ومن النادر في هذه الملاحة انها تحدث ظلها بالليل فتجد الغدادين
فوسط الملح مخضرة ناعمة تتمايل جماماتها فضلا من العدد ونغمة وتعدن الجص
والصلصال وانواع الحجارة والرخام وذلك على اختلاف انواعه متيسر يصرف فيه
الناس في حنا فعهم ومنها خشب الارز المجلوب لها من جبال بني يازغة
وهي بحو الثلاثين ميلا عنها يصل منها كل يوم احمال كثيرة فلا يعدم فيها
بوجه وقد يعمر الصعد منه في الموضع الذي لا ينالها حتى الف سنة وهو ازيد
ولا يعفن ولا يتساس ومنها الحطب الكثير الذي يوقد خارجها
من سائر جهاتها تجلبه بنو سملول فانه يصبح كل يوم على ابوابها من احمال
البلوط وغيره ما لا يوصف كثرة ومنها المحرث العظيم الذي بها قطارها

ستون

سقيا وبقلا وكثرة المجاشر ما ليس على مدينة فاس من هذا ين المغرب ومنها
بعدها من اطراف الارض التي تخاف فيها الفتن والغارات ومنها
اختصاصها بجميع المفاكه واصنافها وانواع الخضر والبقالي على اختلافها وسائر
ثمار الارض وازهارها حتى لا يشتهى شئ من ذلك لمن طلبه منها ومنها
قرب العيون السخنة لها كعين خولان وحمة وشتاته وحمة ابن يعقوب
فان فيهن مرفقا للاستحمام والتداوي وقد اعتنى مولانا امير المسلمين ابو
الحسن نور الله ضريحه ببناء حمة خولان على وجه محكم لتعم مصالح الناس فيها
ومنافعهم ومنها انها حارة وبردها ليس بالشديد جدا وقد يعتدل فيها
الفصلان الخريف والربيع في اوقاتها فيكون ادخول الخريف الى الشتاء غير متباينين
البعد او كذلك كل فصل ينتقل من هواء الى هواء ومن زمان الى زمان بالتدريج
فلذلك قرب اعتدال الهواء في ارضها وطاب الثرى وعذب الماء وزكت الاشجار
وطابت الثمار واخصبت الزروع وكثرت الخيرات وحسنت اخلاق اهلها
وتفرت وجوههم وابدانهم وانفتقت اذهانهم وقل ما يخالف بعضهم
بعضا في الخلقة والصور والجمال والتنظيف حتى فضلوا الناس في العلوم
والصناعات والمعرفة بانواع التجارات ومنها انه اهلها في العادة
اظهروا على امر اسلهم واكثر طاعة لحكامهم وولاتهم ومنها قربها من
وادي سبو الذي تسير منه المقارب والسفن الصغار الى البحر الاعظم
وتطلع منه ايضا الى ملقى وادي ها وقد كانت دار صناعة لانشاء المقارب
والسفن الصغار وغيرها بالموضع المعروف بالجهاز من ارض ابن مغبودة
التي بالقرب من ملقى وادي فاس في ايام الخليفة عبد المؤمن الموحد حين
اراد التوجه لفتح المهدية سنة اثنين وخمسين وخمسمائة قيل انها كانت
عشرة آلاف بخط العقيه ابي عبد الله محمد بن القاضي ابي العباس احمد
ابن الميمون الغشتالي وكذلك امر مولانا المتوكل ابو عنان رحمه الله
بانشاء جفنين اثنين احدهما شطي بحرية وعشرين مجدافا والثاني
سليمي بحرية ثلاثين مجدافا بمنزل خولان ودفعها بوادي سبو الى ان وصل
لعمورة سلا في شوال سنة ست وخمسين وسبعمائة وقد جلب لمولانا امير
المسلمين ابي الحسن برد الله ضريحه بيلة من الرخام الابيض نزعتها ماية
قنطار وثلاثة واربعون قنطارا وسقت حتى الربة الى بلد العرائش الى ان
طلعت بوادي قصر عبد الكريم وحملت حتى على محمل الخشب تجرها العتابل
والرواسي الى ان وصلت فنزل اولاد محبوبة الذين على ضفة وادي سبو

www.alukah.net

وسعت فيه ايضا الى ان وصلوا الى ملقى وادى فاس وحملت منه على عجل
الخشب يجرها الناس الى ان وصلت الى مدرسة الصهريج الذى بعدوة
الاندلسيين ثم نقلت منها بعد ذلك باعوام الى مدرسة الرخام التى امر ببنائها
التى بوسط محنرها الآن وكان جلبها من المرية سنة خمس وعشرين وسبعمائة
فان قيل كيف يتوصل الى وزنها فاعلم ان الذين جلبوها لما اراد ان يغيروها
الجفت بالقصر المذكور على اهلى حد الماء ثم فرغت وشحن فلما وضعها تناظر
من الرمل بالوزن شيأ فشيأ الى ان بلغ المآحد ما علم فى قاريها ثم فرغ الرمل
ووزن فعلم بذلك وزنها كذا ذكر بعض اليهود الذين حضروا ذلك وكتبوا
بذلك رسما وعلم وطولع بذلك مولانا ابو الحسن رحمه الله وكذلك فعل بابواب
المطهير التى صنعت من حديد فى ايام عبد الله التى زنة كل واحد منها الف قنطار
على ما ذكره البكرى وكان مولانا ابو الحسن رحمه الله ياهى برفع الاحمال الكثيرة
من خشب الارز من خزائن مولانا الى معدرة سلا على ضفة يعلمها البحر يوم
ونهر سبو اينبعث من مخيض فرضارة دمنة سهولة فى شعراء غامضة
ببلاد غمارة الذى يمر على بنى وارياش وهذه العين لا يدرك لها قعر
وللبحر المجاورين لها تجاريب منها ان المريض اذا اراد ان يعلموا
هل يبرأ او يموت جلوه لرأس العين للموضع المعدول فيغطسونه فيه
حتى يقرب ان يطفى ثم يخرجونه فان خرج على فيه دم فيستبشرون بالحياة
وان لم يخرج منه دم ظنوا بهلاكه وهذا عندهم متعارف لا ينكر قال
صاحب الاستبصار لا يفعله الا جاهل وان فعله احد باحد يقتص
منه شرعا وحاسوبه ذلك منه فصل هذا الباب قد يدرك بالمشاهدة
والتجربة ويتصيد منه وادى سبو الشمالى يطلع من معدرة سلا الى راس
عين سبو ويتصيد فيه ايضا الحوت الكبير المعروف بالقرب يكون فى زنته
القنطار الواحد والزيد ويوجد فيه الحوت المعروف بالشلبى يتصنع
منه الالوان باصناف البقل فلا تسأم فيه الحية سمك ومنها سيل الناس لسكناها
فقد سكنها جملة من اصناف الناس واهل الكور والامصار وانتقل اليها
من جميع البلاد القاصية والدانية فليس من اهل بلد ولا اقليم الا ولهم بها منزل
ومتجر وصناعة ومتصرف واجتمع فيها ما ليس فى مدينة من مدن الدنيا وانتهت
التجارات واهل الصناعات من كل صقع حتى تكاثر بها كل متجر وسيقت اليها
خيرات

خيرات الارض وجمعت فيها ذخاير الدنيا وتكاملت فيها بركات العالم وذلك
ببركة الامام ادريس بن ادريس رضى الله عنه وببركة دعائه لاهلها وبالله التوفيق
لا رب غيره

الباب الثانى

فى ذكر مبدا دارها بالاسوار وبنزاد وغيرها من الزيادات
وذكر جامعيها العتيق وما انتهت اليه من
الدور والاسواق والحمامات

لم تزل مدينة فاس كلاها الله تعالى من حين استت دار علم وفقه وصلاح
وهى قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها وهى كانت دار الادارسة
الحسنيين الذين اختطوها وكانت ملكة زناتة وغيرهم من ملك المغرب فى الاسلام
وتركوها لمتونة فى اول ظهورهم على المغرب ثم بنوا مدينة مراكش فانتقلوا اليها
لقربها من بلاد الصحراء ثم اتى الموحدون بعدهم فتركوا مراكش واتخذوها
دار ملكهم لقربها من بلادهم ولكونها فى جوارهم وبين قبايلهم كذا قاله صاحب
المقتبس وغيره وما زال الامراء والملوك فى انتقاز ذلك يزيدون البناء فاس
الى ان وصل ان حمار الناس يبنون بارض المدينتين واتصلت العمارات
من طرفى الجهات الى استقلال ايام زناتة فاول من منهم دوناس بن حمامة بن المعز
ابن عطية بن تزيدى الاسوار على جميع ارباضها من كل الجهات وبنا بها المساجد
والفنادق والحمامات وغير ذلك وعمارت مدينة واحدة الى ان ولى بعده ابناه
الفتوح وعجيسة فحض الفتوح عدوته الاندلسيين وبنا بها القصبة من
السكناء بالموضع المعروف بالوكان وفتح بالعدوة بابا سماه باسمه وكانت
بين الاخوين عداوة وصار القتال بينهما وبين اهل العدوتين وكان
قتالهم بالموضع المعروف بكهف الوقادين وكثر الهرج بسبب ذلك فى ارض
المغرب واشتد البلاء الى ان ظهر امر لمتونة فى اطراف المغرب وظفر
الفتوح باخيه عجيسة فقتله ولما ظفر به كره ان يبقى الباب باسمه وامر
بتغييره ذلك وتركه اضافتها اليه فاسقط الناس حرف العين من عجيسة
واخلوا عوضها الالف فقالوا باب الجيسة وبقى كذلك الى الآن وبعد
ان ظفر باخيه اتاه لمتونة فنزلوا عليه وحاصروه وتخلى عن المدينة لهم
معيصر ابن عمه الى ان دخل لمتونة وقتل منها من زناتة وفى ايام لمتونة

www.alukah.net

هدمت الاسوار التي بنيت ايام الادارسة الفاصلة بين العدوتين وارباضهما
واصلح السور الذي يأعلى الوادي الكبير بقرب حوض السفر جل والسور الذي
باسفله حيث هي الرميلة الذي كان بناه دوناس حين ادار الاسوار على ساير
ارباضها وجعل فوقه اقواس بشبابيك من خشب الارز بالعمل المحكم لدخول
الماء وخروجه وكان جعل بين العدوتين قناطير كجاز منا للعدوة الي الاخرى
والاولى قنطرة ابي طويلة الترجير وبناها معولانا امير المسلمين ابو سعيد رحمه الله
والثانية قنطرة ابي بر قوقة والثالثة قنطرة باب السلسلة والرابعة قنطرة
الصباغين والخامسة قنطرة كهف الوقادين والسادسة قنطرة الرميلة وحين
جاء السيل العظيم سنة خمس وعشرين وسبعمائة حمل قنطرة باب السلسلة وما
والاها فامر مولانا امير المسلمين ابو سعيد رحمه الله ببناءه قنطرة باب
السلسلة وقنطرة الصباغين فبقيتا على حالتهما الآن وبقيت قنطرة كهف
الوقادين على يديها من قطوع بذلك من المسلمين وبقيت قنطرة الرميلة معدومة
الى الآن وكان كبير المتعونة واجيمها يوسف بن تاشفين يوكد في زيادة المساجد
بفاس وسقايا تها وحماماتها وخاناتها واصلاح اسوارها وأقدم من قنطرة
جلة من صناع الارض فبنوا منها كثيرا الى ان انتهوا الى ما ينذكر بعد ان شاء الله
تعالى وفي ايامه صارت العدوتان قنطرا واحدا نافذا وفي ايام ولده علي
بن يوسف القصر الحاجة التي بين باب الجيسة وباب بصليتين على يد قاضيه
عبد الحق بن معيشة بحال وضعه على اهل مدينة فاس حسبما ذكره صاحب
المقاييس وفي سنة اثنين واربعين وخمسمائة امر الامير عبد المؤمن بن علي
بهدم اسوار فاس قال انا لا نحتاج الى سور انما اسوارنا سيوفنا وبعد ان
وبقيت الاسوار كما هي الى ان بدا ببناء ما هدم بعقوبة المنصور وكمله
ولده ابو عبد الله محمد الناصر وبنى قصبة الوادي التي بها الآن وكذلك بنا
الشريعة على حالها الآن كما بناها مولانا امير المسلمين المجاهد في سبيل رب
العالمين سور رنيقونا ابن عطية واقام البرج العظيم القدر هناك وكتب
فيه اسمه وبفاس الآن من الابواب باب الفتوح وباب الخوخة وباب
بن مسافر وباب الجيسة وباب بصليتين وباب الشريعة وهي باب
يدخلها الفارس بالعلم العالي والرمح الطويل من غير ان يميل العلم ولا ينثني
الرمح لارتفاعها وسميت باب المحروق من اجل العبيد القائم بجمالة دراغة
لما ظفر به وقتل رئيس راسه على باب الشريعة المذكور واحرق جسده بوطيها
وذلك يوم وكتب مصارعها بامر الامير محمد الناصر بن المنصور سنة ستمائة

وباب الطبر

وباب الطبر المتصل من ابوابها بالقصبة وباب الوادي الذي هو لوحوله
الخلفاء وحزوجهم المتصل ايضا بالقصبة وباب الحديد وباب رنيقونا ابن عطية
وباب الجيزيين والمفتوح منها الآن خمسة وساير ما غلق في ايام المجاعة واشتهت
مدينة فاس في ايام المرابطين والموحدين من بعدهم من الغبطة والعمارة والرفاهية
والروعة والامن والعافية مالم تبلغه مدينة من حدود المغرب لا سيما في ايام المنصور
المرحوم ولده محمد الناصر كانت الساجد فيها سبع مائة وخمسة وثمانين ودور
الوضوء اثنين واربعين والسقايات ثمانين والحمامات ثلاثة وسبعين دارجي
الآبار اربعمائة واثنتا وسبعين ودور السكنى تسعة وثمانية الفا وحائتين وستة وثلاثين
والعطرى سبعة عشر الفا واحدى واربعين والفنادق اربع مائة وسبعة وستين
والحوانيت تسعة الاف واثنين وثمانين وقيسارية بان اثنتان واحدة
في كل عدوة منها ودار ان للسكة في كل عدوة منها والاطرزة ثلاثة الاف
واربعة وتسعين ودور عمل الصابون سبعة واربعين ودور الدباغ
ستا وثمانين ودور الصباغ مائة وستة عشر دارا ودور رسيل الكويو الفاكل
اثنا عشرة دارا ودور عمل الزجاج احدى عشرة دارا وكرسي الخبز
مائة وحمسا وثلاثين وافران الخبز الفين ومائة وسبعين واحجار
عمل الطاحون اربع مائة كلها ذكر بداخل المدينة ودور الفخارة مائة وثمانية
وثمانين بخارج المدينة نقلا ذكره عن الشريف علي بن عمر الاوسي قال نقلته
من خط الغرناطي مشرف المدينة في ايام الناصر بن المنصور سنة خمس وثمانين
وخمس مائة وكان ازدياد بضفتي الوادي الكبير من حيث يستوي وحوله
اليها الى ان يخرج منها دور الصباغين وحوانيتهم ودور الدباغ والطابون
وحوانيت الخافقين والفاجين والواضح المعدة لطبخ الغزل
والغولين وغيرهم لمن يحتاج الى الماء وفي اعلاه ذكر الطرزة للحاكة ولم يكن
وغيرها بالمدينة وادي يظهر حاشى الوادي الكبير وباقي انهارها بقي بعضها حوانيت
ودور وبني على ذلك معاصر ولم يكن بداخلها رياض ولا بساتين حاشى
رنيقونا ابن عطية وخرب ذلك في ايام المجاعة والفتنة التي كانت في ايام
العادل واخيه الامون وذلك عشرون سنة الى ان ظهرت الدولة المرينية
اظل الله ايامها ونصر اعلامها فاخمدت البلاد واخمدت الطرق والعباد
كذا انقل من الانيس واما بناء جامع القرويين والانه وسبعين
وذكر الزيادات فيها الى هذا الوقت والحين فذكر ابو القاسم بن حسون
وغيره في تاريخ فاس انه لما كثر الوارد من عليها في ايام الامير يحيى

www.alukah.net

ابن محمد بن ادريس بن ادريس رضي الله عنه كان ممن قدم عليها من القيروان
محمد بن عبد الله الفهري القروي فنزل بعدوة القرويين مع اهل بلده
الزيتون وغرسوا معه نخلات وترك بنتين وهما فاطمة المدعوة بام البنين
ومريم وتحمل لهما بالميراث مال كثير طيب ورغبتا ان تصرفاه في وجوه
من البر فاعلمتا ان الناس قد احتاجوا الى بنا جامع كبير في كل عدوة
من فاس لضيق الجامعين القديمين المذكورين فشرعت فاطمة
في بنا جامع القرويين ومريم في بنا جامع الاندلسيين اما جامع
القرويين فكان الشروع في حفر اساسه الاخذ في امور بنائه يوم
السبت مهل شهر رمضان المعظم سنة خمس واربعين ومائتين
وكان موضعه الذي بنى فيه ارض للعمل الخضر وفيه اشجار للزيتون هواة
كما قدم ذلك ابوه بوجه صحيح حين استنت المدينة فاشترتها منه
فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري القروي ودفعت الثمن من مالها
الحاصل لها من ميراثها في ابيها فتطوعت ببنا الجامع المذكور فحفرت في
ارضه واخذ منها التراب والكدان لبنائه وحفر بها بيرا لاخذ الآ
لبنائه ونصبت قبلته على نحو قبلة جامع الشرفا الذي اسسه
الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنه بعد مشورة اهل العلم
واجتهادهم في ذلك وهي من اربع بلاطات من قبلته الى جوف كل بلاطة
اثنا عشر قدما من شرق الى غرب وجعل محرابه بمقدم البلاطة الوسطى امام
البئر الكبرى الآن وجعل بعد محرابه صحن صغير وبعد صومعة حيث
هي العزة الآن وتمم على نحو ما اراده وذلك بمطالعة الامير يحيى ثم
حملت فيه شكر الله تعالى الذي وفقها لذلك ولم يتركا على نحو ما بنى في ايام
الادارسة الى ان كثرت العمارات واتصل البنا من ارض المدينة من سائر
الجهات وجرى امر زناتة بارض المغرب من سنة سبع وثلاثمائة فازيلت
الخطبة من جامع الشرفا الصغير واقيمت بجامع القرويين لاتساعه
وكبره وصنع له منبر من خشب الصنوبر وكان اول خطيب خطب به
الشيخ الفقيه الصالح ابو محمد عبد الله بن علي الفارسي وقيد سنة احدى
وعشرين

وعشرين وثلاثمائة وان الذي اقام الخطبة به اذ ذاك هو الامير
حامد بن حمدان الهمداني عامل عبيد الله الشيعي على بعض بلاد المغرب
بعد ان كان تغلب عليها حصالة بن حبوس القائم بدعوة الشيعي
ولم تزل كذلك الى ان تقوى ظهور زناتة بالمغرب باستدعاء الناصر
لدين الله لكبر ايهم ورؤسائهم واكرام ساداتهم وقضاء حاجاتهم
وحمل اهل الطاعة على اهل المعصية منهم حتى عجز بر حاله متقويا بالمن ضعف
عماله الى ان هوت اليه افيدة كثير منهم بين صحيح في ولايته ومستجيب
لدعوته مقتنع لعطيته مستعين بتقويته على مدافعة قد هدر كثير من الادارسة
والشيعة فقام زناتة بدعوة الناصر لدين الله وتغلبوا على بعض بلاد
المغرب وبايعه اهل مدينة فاس ممن بايعه حسبما ذكره صاحب المقتبس
فولي عليها عاملا له من زناتة يعرف بامحمد بن ابي بكر الزناتي
وكان من اهل الفضل والدين فكتب اليه القاضي يستاذنه في بنا الجامع
واصلاحه والزيادة فيه لحاجة الناس لذلك فاذن له وبعث اليه بمال كثير
فاحاس غنائم الروم واموره ان يصرفه فيه فاصلحه وزاد فيه اربع بلاطات
من المغرب وهمت من الشرق وثلاثة من الجوف في موضع الصحن
الذي كان فيه وجعل موخر الصحن الذي به الآن في غربيه هذا الصحن
بلاطان وفي شرقيه كذلك وفي جوفيه بلاط واحد بعد ان تقدم
الصومعة التي كانت به لكونها متطامنة الاشراف وبنا به الصومعة
التي به الآن ولما شرع في بنائها جعل سعة كل وجه منها احدا
وعشرين شبرا ويصعد لها على غاية درجة ودرجة وجعل بابها من
جهة القبلة وغشيت بعد ذلك بصفايح النحاس الاصفر وتم العمل
في بنائها على يد احمد بن ابي بكر الزناتي المذكور في شهر ربيع الاول
سنة خمس واربعين وثلاثمائة حسبما كتب في التربيعة المنقوشة
بها من جملة الصحن وجعل في اعلاها قبة صغيرة موضع في ذروتها
تفاحيص مموهة بالذهب من زجاج من حديد ومركب في الزجاج المذكور سيف
الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنه وسيف جعل هناك ان الامير
احمد بن ابي بكر المذكور لما فرغ من بنائها اعتصم اليه بعض حفدة ادريس

www.alukah.net

فالسيف المذكور وطلب كل واحد منهم ان يمتاز به ويحوزه لنفسه وطال النزاع في ذلك فقال لهم الامير هل لكم ان تسلموه لي وتتركوا النزاع قالوا له وما تصنع به قال لهم اجعله في اعلى هذه الصومعة تبركا به وليكون ذلك ذكرا بسببه فقالوا له وهبناه لك طيبة به نفوسنا فجعله في ذروتها وقد نظم شعراء الوقت في هذا السيف مقطعات كثيرة فكان اول من فتح فيه باب المقال للشعر شاعر هذا الاوان وحاير قصب السبق في هذا الميدان ابو العباس احمد بن عبد الحاجري فقال

اذكر السيف المنار بفاس ... قائلا انا ذاكر دائم اغتنام
لا يزعزعه الحسام سلّ علينا ... جنة الخلد تحت ظل الحسام

ثم تلاه صاحبنا ابو عبد الله محمد الحاجري فقال

يقول مذ زجرا ان فاسا قضى لها ... بذلتها سيف المنار المشيد
فقد اخطا وانى زجرهم ضل سعيهم ... وما الفز الا تحت ظل المقلد

ثم تلاه صاحبنا الاستاذ ابو عبد الله محمد المدعو صنديل بن آجروم فقال

سما بفاس سيف ادريسهم ... فوق منار لا لامر مخوف
بل اشعروا بقول خير الورى ... جنتكم تحت ظلال السيوف

وقال ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى

بسيف منار بفاس غدت ... محاسنها دانية القطوف
وجنة تحت ظلال السيوف

وقال رحمه الله

وما خص ادريس المنار بسيفه ... لغم ولكن كي يعم نداؤه
مشيرا اجيبوا داعي الله تامنوا ... ومن لم يجب داعيه هذا جزاؤه

وقال الفقيه العدل ابو زيد عبد الرحمن المليلي

الم بفاس ولم تسمع لقاليهم ... سيف المنار كما ماثر مكتسب
الم تر الشمس رقمت تحت كاتبها ... والسيف اصدق انبا من الكتب

وقال الاديب المجيد ابو العباس احمد الوباغ

سيف ادريس بالمنار بفاس ... ليس للغم لا ولا للنخافه
انما كان وضعه السيف فيها ... معلما انها لبيت الخلافه

وقال الامير الرئيس الاوحد ابو الوليد اسمعيل بن فرج الاحمدي

وما السيف في ذاك المنار بزلة ... بفاس ولكن اثرة ايما اثر
لانها ابن ادريس مقر خلافة ... فجرده عزما لاعلاكها الغرر

وقال الفقيه العدل ابو العلاء ادريس بن رشيد

سل ادريس بالمنار حساما ... منشاذاك عن شديد العقاب
داعيا للصلاة ان لم يجيبوا ... فحقيق الجزاء ضرب الرقاب

وقال صاحبنا الفقيه ابو محمد عبد الغفار

ذكرت ولم اكن للذكر ناسي ... عجائب سيف ادريس بفاس
لم يكن بالمنار شرا ولكن ... ليرفع عن حالها كل باس

وقال صاحبنا ابو الفضل بن باشر رحمه الله

قل لمن انكر الحسام بفاس ... زاد عن الغم قول ذي تجريح
سيف ادريس بالمنار شهير ... شهرة الديك بالاذان الصحيح

وقال صاحبنا ابو عبد الله محمد بن علي الغفار شهر بالحبار

شهرة الشمس فوق المنار عزة للورى ودين النبي
سيف ادريس محمد للاعادي وانتصار الملوك بالملوك في

وقال ابو محمد عبد الواحد الونشريسي

من يعد الناس ... يقول لهم ... سيف ادريس غم الناس في فاس
تعسا لعاليهم بل سيف ذي كرف ... علا كما قد علا ادريس في الناس

وقال الاديب سعيد بن ابراهيم العقاد عرف شهبون

لادريس سيف اظهر الدين والهدى ... بافق منار للاذان تشيدا
فمن ظن ان الذل ادرك نابه ... فهل ذل الا ظالم ضل واعتدى

وما ذكرناه من نظم اصحابنا في هذا السيف غير موافق لما ذكره المورخون من كونه لم يجعل هناك الا لتقاذكر الامام ادريس رضي الله عنه وقد نظمت في هذا المعنى

سيف ادريس منتضى بالمنار ... لا لغم النفوس والاعمار
انما جعله هناك ليبقى ... خالدا ذكره مدى الاعصار

فلنرجع الى ما كنا بصدده من تتميم الكلام في هذا المعنى وذكر الزيادات فيه على وجه التقريب والاختصار ثم جعل تحت القبة المذكورة قبة

الألوكة
www.alukah.net

الكبير منها لجلوس المؤذنين وجعلت المراعي منهم لأوقات الليل وانصداع
الفجر لإقامة الأذان وبداية يقتدي المؤذنون بصوامع المدينة يعلمونه
على العادة المتقلة منا قديم الزمان ولهم بمواضع منها بلاطات رخام موضوعة
بالحكمة وفي وسط كل بلاط قايم يستدل بامتداد ظله على خطوط في البلاط بطول
ازمان النهار وقصورها ساعاته قد نصبها اهل العلم بالهيئة على نظر وحوافقت
وهم لهم من افضل الهدايات وفي عطفات ادراجها سراج زاهرة يعرف عليها
الليل كله يستعان بها على رعي الفجر واجزاء الليل ولم نزل كذلك الى ان
ولي القضاء الفقيه الخطيب ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر ايوب بن يكنون
فعمل فوق ايام المعدل ابو عبد الله محمد بن الحباك من فخا
السلام وفيه الآلة وجعل على وجه الآلة طنجير امن نحاس فيه خطوط وانقاب
ويخرج منها الآلة بقدر معلوم الى ان يصل للخطوط فيعلم بذلك لها اوقات
الليل والنهار وفي ايام الغيم وليالي ظلمة وذلك في خمس وثمانين وستمائة ثم اغفل
عنه واهمل وفي السنة المذكورة شرع في اصلاح الصومعة المذكورة
وتبييضها بالجص والجير بعد ان سمر فيها من خارجها ثلاثة قناطير
وربع قنطار ونصف ربع قنطار من مسامر الحديد وذكيت بعد تبييضها
حتى صارت كالمرآة المصقولة بعد ان كانت الطيور تعشش في برجها كانت
بها فانقطعت ازاليتها وبنى ايضا الغرفة المطلعة على باب الصومعة
واتصل اليها مبيت المراعي للاوقات وجلوس القومة بها وايسا
المنجانة التي صنعت جديدة الغرفة لمعرفة الاوقات فان الشيخ العدل
اباعبد الله محمد بن عبد الله الصنهاجي القطاع احدثها فمات قبل ان يركبها
ابو عبد الله بن الشريشية القرموطي وتطوع بعض السليمانيين بالانفاق
فيها سنة سبع عشرة وسبع مائة وذلك انه جعل في اركان الغرفة عشرة بسار
المستقبل جهات من خشب الارز وجعل في داخله بدنين كبيرين من فخار
احدهما اعلاه في الآخر وجعل في الاعلى منهما وفي اسفله انبوبا من نحاس
جمعه بالذهب تحكم العمل يهبط منه الماء في البدن الاسفل بقدر معلوم وجعل
جوف الجبح منطسا وركب في جانبي التغطيسة برجي الافلاك والاسطرلاب
العجمية والساعات ودقايقها واوقات الليل والنهار وجعل المسطرة
معلقة في علو خارج من الجبح يمر بها في حفرة التغطيسة المذكورة طالعا
وهابطا وجعل على رجه الآلة الذي يجتمع في البدن الاسفل جسما مجوفا على هيئة
الاترجة معلقا في الطرف الداخلي من القلوز الخارج من التغطيسة

وطلعت

وطلعت بطلوعه المصطرة وكلما طلعت بطول الازمان ظهر خبرا
الوقت المطلوب فاذا تم النهار والليلة المقبلة لم ترد الماء الذي
الاسفل للبدن الاعلى وعلق المسطرة كما كانت ثم عمل عن ذلك الى
ان تقدم للنظر للاوقات والرعاية للمؤذنين ابو عبد الله محمد بن محمد
ابن العريف رحمه الله لسبع واربعين وسبعمائة فجدد المنجانة المذكورة
على وجه اتقن من الوجه الاول ولم نر اجتهد في ذلك الجد اخلص صدر ايامه
معه لانا المتوكل ابي عنان رحمه الله فاكثر الاجتهاد في خدمته وجعل
خارج الجبح المذكور بجماعة المستقبل له دايرة وعليها شبكة كشبكة
الاسطرلاب ودرسومه تدور حتى طلعت المسطرة المذكورة يعرف بها
ايضا اوقات الليل والنهار واعدها ذلك مع ذلك رمليات لاختبار
الاوقات وجعلت اسطرلابات موقفا ذلك على من يستعمله وينظر فيه
اجزاء الليل والنهار وقد صعد جدولانا المتوكل ابو عنان رحمه الله الصومعة
ليعتبر المدينة وترتيبها ووقف على المنجانة وما اتصل بها فاستحسنه
واتم على الناظر فيه بمرتب وضع عليه فيه ليستعين به على القيام بسفاير
الاسلام وذلك في سنة تسع واربعين وسبعمائة وامر نصر الله وجهه
باثر ذلك انا يجعل باعلا الصومعة المذكورة صاير وينتشر فيه علم ابيض
في اوقات صلاة النهار وفنار فيه سراج زاهر لاوقات صلاة الليل
يستدل بذلك من بعد عن المدينة ولم يسمع الاذان وفي ذلك اعتناء بامور
الاوقات وما يتعلق بها من وجوب الصلوات ويتركب عليها من
الحقوق في وجوه شتى من العبادات والعبادات

نور به علم الهدى نامو تفع للمهتدين به للحق ارشاد
يا تونس نظم ادب نحوه فلهم لانه للرشد احرار واسراد

وقد نظم في هذا المعنى ذلك صاحبنا ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
المتقدم ذكره

سر فاس لغارس قد نبدا وضع ادريس في المنار حسامه
فهم العز للوفا الفا ورى ناره معلما وشال علامه

وقال ابو محمد عبد الواحد الزيتوني المتقدم ايضا

رفع المنار ابو عنان فارتقى اعلا المنار وزاد فيه عكازا
شهر الاذان بذاك شهرة رافع نظهر دين الله فيه حاجا

وما قيل في المنجانة لاحد الشعرا

روح من الماء في جسم من الصفر مركب للطيف الحس والنظر

www.alukah.net

مستعبر كم يغب من عينه سكر ... ولم يتب حزنه ويه ضغن على حذر
وفي اعاليه حسان يعضله ... للناظرين بلا دهر ولا قفر
اذا بكى كان في احشايه فلك ... خاف المسير وانام يبد لم يذر
متى جهم تمن مواقيت يخبرنا ... بما فيه جرفيها صادق الخبر
تقضي بها الخمس في وقت وان ... عظ على الشمس ستر الغيم والمطر
وان تسهر تبادر كان تورقني ... عرفت مقدار السهد والسهر
مجود كل صيقات تخيره ... صور التيس الاسفار والحضر
ومخرج لك بالاجزاء الطفها ... من النهار وقوت الليل والسحر
نتيجة العلم والافكار صورته ... يا حبذا ابدع الافكار في الصور

وقد صنع حولنا المتوكل ابو غناك رحمه الله منجانة بطيقان وكرسي من نحاس مقابلة لباب مدرسة المؤيدة التي احدثها بفاس في القصر من فاس وجعل شعار تلك المنجانة ان تسقط صنجة في طاس وتفتح طاق وذلك في ايام اخرها الرابع عشر لجمادي الاولى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة على يد موقته علي بن احمد التلمساني المعدل وقد ذكر الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه كيفية المنجانة باوجز ما يكون في كتابه المقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى عند شرح اسم تعالى الحكيم فانظره هناك يذكر ان بعض الخلفاء كان يشتد على مؤذنه الاذان قبل الفجر فان لا يصعد للاذان نهارا الا من عرف عفته ووثق به في غض بصره حوطة على حرم المسلمين والاطلاع على عوراتهم وخوف فتنة تحدث بسبب من لا يؤمن فوز ذلك وكان بعض من ... بالنظر في الحسبة فامر المؤذنين بان يجعل عصابة على اعينهم حين الاذان بالنهار وقد جرت هيجانا وفتنا بسبب ذلك يطول ذكرها فمن ذلك الحاجة التي كانت بمراكش بسبب اطلاع مؤذن صومعة الكتبيين على دار ابن جامع وهي صحيحة مشهورة لا يسع ذكرها لما فيها من ذكر المجانة ومن ذلك الحاجة التي كانت بفاس في يوم الجمعة ثاني عشر لشهر ربيع الاول سنة ستة عشرة وسبعمائة بسبب الرجل الذي ازال السيف من اعلى ذروتها وهي الفضة مشهورة وقال ابو العباس المبرد في كامله كان سبب هدم خالد بن عبد الله منارات المساجد حتى حطها عن دور الناس انه بلغه شعر لرجل من هوازن الى الانصار وهو هذا

ليبك بني الحوزن بين حياتهم ... انهم يبصرون من في الطرق
فيشرفون الحي عليهم ... بالسوء كل ذات سليم

واما القبة التي على العنزة فانه لما تغلب الصغير بن المنصور بن ابي عامر حاجب هشام المؤيد على فاس بعد ... في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة بنا القبة المذكورة ونصب اعلاها طلسمات وتماثيل كانت قبل ذلك على راس القبة التي كانت باعلى المحراب الاول بالجامع المذكور ما صنعه الاوائل وصفة ما صنع في ايام الشيعة فجعل الطلسمات على العادة من حديد منها طلسم الفار على صورة الفار لا يدخلها ولا يعيش بها وان دخلها افتضح وقتل ومنها طلسم العقرب وهو على صورة طائر منقاره يشبه ذنب العقرب فكانت العقرب لا تدخله وان ادخلها احد فان نوبه جدت فلا تتحرك ومنها طلسم فوقها فيه من نحاس للحية فلا تدخله وان دخلته افتضحت وقتلت وما يوجد من اثار الحيات وهو من عمار الجن وهذا لا ينكر فان الله سبحانه قد اجرى عادته في ارتباط بعض الاشياء ببعضها اذا كانت في وقت مخصوص ولم يعلم قط على قديم الزمان وحديثه من لوغته فيه حية والعقرب وقد تعطل هذا الحكم منذ اعوام وتركت هذه الصور واذا التهاكان اولى لانها ذات ظل وذلك محرم في السنة اذا كانت كاملة الخلقة واما السقاية والبيلة المستطيلة الشمالية عن يسار الخارج من باب الحفاة الجوفية فان المظفر ايضا بناها وجلب الماء اليها من وادي حسن الذي باعلى المدينة من ناحية باب الحديد واما المنبر الذي صنعه المظفر بن المنصور بعد المنبر الذي صنع في اول ظهور زنانة فكان من عود الابنوس والعناب ونحاس مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما هذا ما امر بعمله الخليفة المنصور بسيف الاسلام عبد الله بن هشام المؤيد بالله اطال الله بقاءه على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن محمد المنصور بن ابي عامر وفقهم الله تعالى وذلك في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وكان يخطب عليه الى ايام علي بن يوسف بن تاشفين فتركه ووضع المنبر الذي به الان على يد القاضي ابي محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة الغرناطي لم يتم لها ايام وتم بعد صرفه عن قضاء فاس على يد الفقيه القاضي بعده ابي مروان عبد الملك بن بيضاء التميمي وصنع من عود الصندل والابنوس والعناب والعنابة وعظم الحاج وكان الذي صنعه وجرره الشيخ الاديب ابو يحيى الفتاد وكان من خير عمر اطول حتى كان زاد على المائة سنة وكان اعلم الناس باللغة والشعر روى عنه جملة من اهل فاس وغيرها وكل جمل الفقهاء فيه من حال الاحباس المستخرج من النظار عليه ثلاثة الاف دينار وثمانمائة دينار وسبعة اعشار دينار فضة وكان له عشاء ان احدهما من جلد معز

والثانى من مغيرة كنانة يزيد الاعنة فى كل يوم جمعة وذلك فى شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة حسبما كتب فى اعلاه بروته بالعاج والخطباء الذين خطبوا عليه منه صنع فى آخر دولة المقتدية وفى آخر دولة المحمدية وصدر الدولة المؤيدية اطال الله تعالى فى زماننا اولهم الخطيب المبارك العالم ابو المعالى عيسى وكان من احسن الناس خلقا وخلقا وافصحهم لسانا واكرمهم بيانا وكانت موعظته تؤثر فى القلوب لصدقه واخلاصه وكان يخطب فى كل جمعة خطبة لا تشبه اخرى فاقام يخطب مدة من خمسة اشهر ثم اعتل الموحدون المدينة فحجروه عن الخطبة وقد موا مكانه الفقيه الصالح ابا الحسن بن عطية لاجل حفظه للسان البربر لانهم كانوا لا يعقلون الخطبة والاقامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربرى فخطب به اليوم الذى توفى فى ثانى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فخطب بعده الشيخ الفقيه ابو الربيع ابو محمد بسكر بن موسى الجزرارى وهو احد اشياخ المغرب فى الورع والفضل والزهد والورع والتقشف والايثار والصدقات كثير قيام الليل لا سيما فى رمضان قيل له ذات ليلة لو اراحت نفسك قليلا واعطيتها حظها من النوم لكان ارفق لك فقال انما اريد راحتها ثم انشد

الصلاح

لا تجعلوا رمضان شهر فاكهة ... تهتيكم فيه نوع الحرية فتفوتم
واعلم بانك لن تنال ثوابه ... حتى تصوم نهاره وتصوم

يحكى عنه ان احد علماء الموحدين بفاس كتب للخليفة يعرض عليه بان اباه محمد لا يدعوله ويصله الخبر بذلك فى حال ان خرج فبعث من حينه بان يشخص وكان ممن وقف بين يديه احد الصقلب وبيده اطرية فاخذه عند بعثه وقال لمن حضر هذا اقتله فقدر ان ضربه بجهة نفيه بضربه فانبعث من الضربة دم كثير فبادر الاطبا لقطع دمه بجملة من الادوية فلم ينقطع وكان ممن حضر عند الخليفة احد الصلحاء فتدبر فى ذلك وقال للخليفة ان كان فيمت بسوء فقل منه فتركوا اشخاص ابى محمد فتاب من ذلك وبعد ان برد الذى بعثا باشخاصه فانقطع الدم من حينه وكان له نفع الله به غنم وماشية كثيرة ببلاده التى نشأ بها وارثا عن ابيه وكان يتصدق بكثير منها وكان يوم خطب له يسير عجمة فى لسانه فراى بعد ذلك ان قدم خطيبا الفقيه الزاهد ابا عبد الله محمد بن حسن ابن زيادة الله المزنى واغفر دعوبا بالاصالة ثم توفى ابو عبد الله ابن زيادة الله ثالث وعشرين جمادى الاولى سنة اثنين وسبعين وخمسمائة فخطب بعده الفقيه ابو القاسم بن

باستخلاف

ابى محمد بسكر له فى ذلك الى ان توفى فى يوم الاثنين الرابع عشر شهر رمضان المعظم سنة احدى وخمسين وخمسمائة فخطب بعده الفقيه الصالح الورع ابو عمران موسى المعلم لكتاب الله تعالى باستخلاف ابى محمد بسكر له فى ذلك وكان ابو عمران يعلم الصبيان فى المكتب الذى بحظيرة ابى رؤس وكان له صوت شجى حسن يبكى كل من سمعه بقراءة القرآن ولما كلف الخطبة داخله دهشة واطلق صبياته ثم اخذ فى البكاء والدعاء وقال اللهم لا تفضحنى بين عبادك يا ارحم الراحمين ولما نادى المؤذن بالاذان الاول لبس احسن ثيابه وسار الى الجامع فقعد فى حجرته قدام الحراب فاخذ بالحكمة وفصل الخطاب فى قراءته فبكى وابكى فلما تمت الصلاة اقبل الناس اليه يقبلون يديه ويتبركون به ولم يزل خطيبا الى ان وصل الفقيه القاضى ابو محمد عبد الله بن يخلفون المعافرى فكان اول سؤاله لاهل المدينة عن خطيب جامع القرويين فذكر له فيه خيرا واثنى عليه كثيرا فلما جاءت الجمعة رآه فلم تعجبه صورته وقال فيه قولا فقال له بعض من حضره لو سمعت خطبته لاعجبتك فلما سمع خطبته بكى وخشع فلما فرغ من صلاته طلب منه المغفرة والدعاء وكان سريع الدمعة كثير الخشوع والغالب عليه فى احواله الخوف وتولى ابو محمد بسكر فى الحالى والعشرين الى قعدة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة واقام اماما بجامع القرويين اربعين سنة لم يسد فيها بوجه لكثرة حضوره فى صلاته ولم يترك عقبا وسبعين بكر الذين يقاس ليسوا من عقبه وانما اشتركوا فى الاسم واجتمع لابى عمران الخطابة والامامة الى ان توفى فى عشى يوم الخميس سنة تسع وتسعين وخمسمائة فخطب بعده ولده الفقيه ابو محمد عبد الله وسنه يوم ولى ثمان عشرة سنة وكان له حظ وافر من الجمال والعلم والدين والفضل والورع وحسن الصوت ولم تكن له صبوة فى صغره ولم يزل مشتغلا بطلب العلم منقطعا للعبادة ولما مرض والده ابو عمران قيل له استخلف ولدك للصلاة فقال ان علم الله فيه خيرا فهو مستخلف فلما توفى ابو عمران وحمل الى قبره، ووضع على شفيره للصلاة عليه ضج الناس بالبكاء وطلب من يصلى عليه فقال قاضى البلد ولده تقدم فصل على ابيك فتقدم وصلى عليه وانصرف الناس وقدم فى موضع ابيه واستحسنه الناس ولما اتى الناصر بن المنصور الى مدينة

فاس بعث اليه ليراه فوصله وسلم عليه وبقي بحادثه الى ان جاز وقت
صلاة الظهر فقال له قم فصل بنا فصلى فقال له الناصر مذ تركت في جوف فعلك
للصلاة يا لناس قال تركت بعض هو خير مني وهو معلمي الذي قرأت القرآن
عليه وذلك انك لما وصلني بكوكبي تحيرت في امري مما يتقدم لذلك وقلت لا اعلم
متى يكون الرجوع هل بالقرب ام بالبعد فحيرت الي معلمي وتذكرت قول الرسول
عليه السلام مولاك ثم مولاك ثم علمك آية من كتاب الله فاعلمته بالقضية
واستغلقته في مكاني فقال له الناصر جزاك الله خيرا ثم امره بالانصراف واتبعه
مملوكا بجملة من شبابه وحرة فيها العادينار فرجع الى الناصر وشكره ودعا له
وقبل منه الشباب واستعفاه في امر الوتاير فعفاه ولم يزل خطيبا واماما الى ان
توفي يوم الاحد الحادي عشر لرجب سنة احدى عشرة وستمائة فخطب بعده الفقيه
ابو محمد عبد الله القضاعي وهو الذي علمه الشاور اليه باستخلافه هو له فانتقد
عليه وطعن فيه وقال الناس انه يبعث صبيانه للكتاب للتعلم وطول بذلك من
في النظر العام فقال ان الذي قدمه للصلاة اقربهم يدا الناصر امير الموحدين
انه خير منه فاتركوه على حاله فتركه ابو محمد القضاعي للكتب وصار معتكفا
في الجامع ساكنا في الدار الموقوفة على ايمة الجامع الى ان توفي يوم الخميس
الثاني والعشرين لرمضان سنة خمس عشرة وستمائة فخطب بعده
الفقيه الصالح ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشلبي وكان من اهل
العلم والدين والفضل وكان له صوت حسن ومعرفة بالاوقات توفي
سنة تسع وعشرين وستمائة فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح
ابو عبد الله محمد بن عبد الله المدعو بالخطيب وكان مجاب الدعوة وتوفي
سنة خمس وثلاثين وستمائة فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الورع
ابو محمد عبد الغفار ستة اشهر وتاخر لنفسه وكان سبب تاخره ان
احد الحساد والشاع عنه انه يقول السلام عليكم وبلغه
ذلك فاستدعى جماعة من وجوه المدينة وقال لهم انه بلغني انه يقال
ان اقول السلام وبالله الذي لا اله الا هو لا تقولت بها ابدا فخطب
من يكون عوضا عني وبالله الذي لا اله الا هو لا تقولت بها ابدا فخطب
بعده الشيخ الورع ابو الحسن علي المعروف بابن الحاج وحكى عنه انه
لما تاخر ابو محمد عبد الغفار رغب الناس في الشيخ الصالح ابي محمد القشتالي
ان ينظر لهم خطيبا فوعدهم ليستخير الله تعالى فيمن يصلح لذلك وقام
فرأى في منامه ان الرسول عليه السلام يشير عليه باي الحسن المذكور
فلما كان صباح اليوم جاءه الناس وعدهم فقال لهم عليكم بابن الحاج
فاستنع ثم رغب المرة بعد المرة فاجاب واستنع ان يسكن الدار المجعلة
على الجامع وقال لا ينبغي ان اكون انا الساكن عوض الامامة وتورع عن ذكر
فقيل له ان لم تكن ساكنا تطلع جميع ما عين الحبس لذلك فقال اعلموني
لانظر لنفسي مخرجا فاجاب لسكناها على ان يكون يحيط حصر الجامع وراى
ان ذكر عوضا عن السكنى فالله ينفع به وتوفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة
فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح المشاور الورع ابو عبد الله محمد بن يوسف
المزدغي ثم قدم ولده الفقيه ابا القاسم للخطبة واقتصر على الامامة فخطب
ولده عوضا عنه وكان لما دعي للامامة استرجع ثلاث مرات فقيل له في
ذلك فقال انه اخبرني الشيخ الحافظ المحدث ابو ذر الحسن وانا ارويه عليه
الاحكام في الحديث الشيوخ يوم توفي الفقيه ابو محمد بن موسى المعلم وولي
القضاء عوضه ونظر الي ثم قال لي انك تلي
الامامة للصلاة بالناس في جامع القرويين وذكر في آخر عمرك فلما
دعيت للامامة ذكرت مقالة الشيخ وعلمت ان اجلي قرب فاسترجعت
واقام ابو عبد الله محمد في تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين
وستمائة فولي الامامة بعده الشيخ الفقيه ابو الحسن علي بن
ثم توفي ابو القاسم المزدغي فخطب بعده الفقيه ابو عبد الله محمد بن
زيادة الله المزدغي الى ان توفي وباشره توفي ايضا ابو الحسن بن حمدين رحمة الله
تعالى فخطب بعده بتقديم فقهاء المدينة واشياخها الشيخ الفقيه
القاري المتقن ابو العباس احمد بن ابي زرع واقام في ذلك مدة من بعضها
يوما فخطب بعد ذلك الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر ايوب بن
يكنون الحاتمي النيفجي من بني اسد واضيفت له الامامة فلم يذكر باسم مولانا
امير المسلمين ابي يعقوب سنة ثلاث وسبعين وستمائة فخطب بعده الشيخ
الفقيه الصالح ابو الحسن يحيى بن ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن يوسف
ابن عمر بن الفتوح المزدغي في يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى الاخيرة سنة
اربع وتسعين وستمائة وتقدم للامامة الفقيه المحدث الاصولي ابو العباس
احمد بن راشد العمراني عن امر مولانا امير المسلمين ابي يعقوب رحمه الله
في نحو عشرين جمادى المذكورة واقام اماما ثلاثة اعوام ثم صرف عنها
واضيفت الامامة الى ابي الحسن المذكور الى ان توفي نحو خامس وعشرين
شهر السنة ست وعشرين وسبعمائة فخطب ولده الفقيه المحدث ابو
الفضل محمد وكان حسن الصمت قليل الضحك مولعا بقضاء حوائج الناس

www.alukah.net

من عرفه ومن لم يعرفه تارة بنفسه وتارة بحاله وتارة برسالته موثرا اجواد احيا
انه لا يرد من قصده شاعرا كان او غيره بل يبادر بقضاء حاجات من قصده وربما
عذله بعض الناس من ذلك فانشد لهم

لا تعذلوا الشعر ثم تضيعه ... فتنام والشعر اغير نيام
واعلم بانهم اذا لم ينصفوا ... حكموا الا تغنيهم على الحكام
وجناية الجاني عليهم تنقضي ... وعقابهم يبقى على الايام

وكان الناس يتوسلون عند الخلفاء والامراء وغيرهم في حوايجهم
الكريمة عندهم وكان اكثر مسببات ذلك الزراعة والغراسة وكسب اموالا
كثيرة وكان كثير الانفاق للغنم وحشمه لاسيما في الولايم والمواسم الى ان
اركبته ديون كثيرة وغفل عن ضبط ماله والتعقد لاحواله واشتغل بالمدائح
فتتبين عليه مال جسيم مبلغه اثنا وثلاثون الف دينار وثلاثمائة
دينار كلها من الذهب من حلتها ودايع كانت بيده ولم يبلغ ما
القي بيده وحوزه من الاملاك والرباع وغير ذلك عشر طلب الناس اموالهم اليهم
وقيامهم عليه حاشى عشرة الاف دينار وخمسمائة دينار من الفضة اقسمه
الغرماء بينهم حسب ديونهم

مولانا امير المسلمين

ابو الحسن رحمه الله عند تحققه ذلك الاحرفه عن الخطبة والاماءة ورأى ان
ذكر ما يقدح فيه وانفاذ امره بمصر فمن قوله هذه الابيات من نظمه رحمه الله

مولاي يا خير الملوك ومن له ... مزايا على كل الملوك الاكابر
اما آن ان تحنو وترحم شاعثي ... وحبك سار في الورى والغمائر
وحبي اليك مجرد ... لدى كل باد في الانام وحاضر
فكيف ... وانت امام ذو العلا والمآثر
يضيع يا نور ناظري ... بضائقا مهانا في الغربة والحواضر
وكيف يكون الزهد في حبيبكم ... بان الورى كان لبس بضائر
وقد قال اهل العلم طرا بانا ... ولا قدح فيمن قوائم بالصغائر
وغاية حاقد عدوها صغارا ... وامنح قصدا ان صعود المنابر
أأبعد عنكم دون فعل كبيرة ... رمى منبرا مثلي يكون مناظرا
ولو كنت يا مولاي اعلم انني ... والزمتها هون الصغوف الاواخر
لما طمحت نفسي لشئ من الفلى

ولما وقف عليها صممم على صرفه وكتب الامر بذلك لمدينة فاس من منصورية
تلمسان في الثالث عشر لشعبان سنة ست واربعين وسبعمائة ووقف مولانا
ابو الحسن

ابو الحسن رحمه الله على قصيدة ايضا من نظمه كان اراد رفعها الجانبه العلي حين
غلبه الدين ... في دينه فتجمل من ذلك واجرى له جراية من
مجبى فاس مبلغها مائة دينار وخمسون دينارا فخفف في كل شهر الى ان توفي
في عقب شوال السنة ثمان واربعين وسبعمائة من القصيدة قوله

مالي سوى العتبى بابك والرسل ... بعد الاله امير المسلمين على
مالي سواه كما ارجوه من ... مال سواه فنيل السول والامل
نجل الخليفة عثمان الذي وضحت ... منه المعالي وضوحا غير محتمل
اعني ابا حسن قطب الملوك ومن ... احيا الخلافة من علم ومن عمل
غوث الملوك اذا خطب الزمان بهم ... غيث العفاة امان الخايف الوجل
بحر السماحة فياض لوارده ... عذب وبروقي في نصل حرمي نكل
ينسيك يوم وياج الحرب عنتهم ... عند الطعان وما عجز بمحتفل
ماضي العزيمة ... في شجاعته ... يرمي على كل ذي وصف وذي مثل

وتعلم مثل هذا انما هو لكثير من الشكر على ما في الانسان ... وحفظ المال
من الخير والصلاحة وليتذكر الفاعل وينتبه الغافل فخطب من بعده الشيخ الصالح
الخاشع التالي لكتاب الله تعالى ابو محمد عبد الله محمد بن الجنان رحمه الله
وكان رحمه الله كثير الصوم وصدقة السر وقد مه لذلك مولانا امير المسلمين
ابو الحسن رحمه الله الى ان توفي في يوم الخميس سادس عشر من شهر الله
جمادى الاولى سنة خمسين وسبعمائة فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح
العالم الخاشع الورع الزاهد ابو الحجاج يوسف بن عمر الانفاسي بتقديم
مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله بعد الاستخارة في ذلك والنظر في الاصلح
للمسلمين وقبل التقديم بعد ان ابدى اعذارا لم يسمح لها فيها للمصلحة التي غلبته
على اعذاره وفرح الناس بتقديمه له وشكروه لاحتفاله بالامور الدينية
وبعثه له في اول خطبته خطبها كسوة سنية تشتمل على برنس وبرى كلاهما
ابيضان واحرام للتوديه ومنديل للتعمم ودراعتين من ثوب الرحاف
وقبطية شواشية العمل قال الرسول الذي حملها له ان قيمتها ازيد
من مائة دينار من الذهب ولما وصلته خجل من ذلك وقال ان هذه الكسوة
لا تصلح لمثلي وهي علي من اللباس الكفائية وفيهم منه طلب المعافاة في قبولها
فقال له الرسول انت من اهل العلم وعندك وجوه لاخذها وانما قصد من
وسعها التقدية لاهل العلم بذلك وليتمايز الخطط من غيرهم وليعلم
الناس بتقديمه لذلك ولما في العادة من التقدم فقبلها وشكره عليها

www.alukah.net

وتعالى بصلاح الاحوال وبلوغ الآمال ثم لبس بعضها في خطبة الاولى
ثم وهبها لمن يستحقها وهو السيد الشريف ابو عبد الله محمد بن عمران
المتقدم ذكره واقتصر على عادته في لباسه ولم يزل عنده محمولا على البر
والتقوى والاكرام والرعي المستدام معتمض الحوائج على الدوام وخطب
نائبا عنه لاعذار ابداها الشيخ الفقيه القاضي الراوية المحدث ابو عبد الله
محمد بن الحاج ابي الحسن علي بن عبد الرزاق الجزولي ومازال ابو الحجاج
يعتذر عن القيام بها الى ان استقبل بالقيام بذلك الفقيه ابو عبد
الله محمد بن علي المذكور واقام خطيبا الى ان اعتل حفظه الله وظهر عجزه
عن الخطبة فخطب بعده الشيخ الفقيه العدل الصالح ابو محمد عبد الله بن
الخطيب الصالح الورع الخير ابو محمد عبد الواحد بن الخطيب الاستاذ
ابي عبد الله محمد بن ابي الصبر بتقييض مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله
لذلك في يوم الجمعة الرابع عشر بحادي الاولى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة
وتوفي الفقيه ابو عبد الله بن علي بن عبد الرزاق المذكور في يوم الاحد
الرابع لذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وبقي الشيخ الصالح ابو
الحجاج اعواما الى ان مرض عجز عن القيام بالامامة فتقدم ولده الشاب
المولى ابو الربيع سليمان نائبا عنه في ذلك بعد اباية منه ثم اجاب حتى يوم
الاربعاء الثامن عشر لرمضان سنة ستين وسبعمائة واستمر على الاستنابة
الى ان توفي والده المذكور في يوم الاحد الثالث عشر لشعبان سنة احدى
وستين وسبعمائة واستقل ولده ابو الربيع بالامامة وظهر منه خير
واستقامة ثم تاخر من تلقاء نفسه نفع الله به لا مظهر له في ذلك واجتمع
للخطيب المبارك الصالح ابي محمد عبد الله بن ابي الصبر المذكور الخطبة
والامامة وذلك في اواخر عام ستة وستين وسبعمائة وفي
الزيادات في الجامع المذكور الباب الاكبر الغربي الذي يسمى باط المرتين
بين منزل الاحباس في ايام الفقيه القاضي ابي عبد الله محمد بن عيسى
السبتي سنة خمس وخمسمائة كذا قاله صاحب المقياس ثم صنع بخارجه
قبة الجص المغربية التي عليه الآن الغربية الصناعة سنة تسع عشرة
وسبعمائة على يد الخطيب ابي محمد عبد الله بن موسى العلم قاله صاحب الانيس
والباب الاكبر ايضا المعروف الآن بباب الشماعين بين منزل الاحباس

في ايام

على جوانب الوسطى ترتفع بها الظلال مدة الحاجة اليها ثم تحط وتزال
وتخزن الى وقت الحاجة اليها ايضا وجعل في جوانبه مواضع حنايا فرجا يتفرجها
المهر أو بيت كذلك اعواما الى ان تمزقت واهمل النظر فيها وبقيت بكرها
ظاهرة الى الآن كذا نقله صاحب الانيس وما انشد في معنى ذلك بعض الشعراء
المذكور

تنطقت الدنيا بعدكم في الورى ... وضمخت الماضاق بالخلق جامعها
شكى ضحضة شمس الظهيرة ضاحيا ... فاظلته ظلا عن الوهج قانعا

ولما كثرت العمارات بالمدينة في ايام امير المسلمين يوسف بن تاشفين
وضاق الجامع بكثرة المصلين اراد انكاتوا يصلون في الشوارع والاسواق
اجتمع فقهاء المدينة واشياخها ورفعوا ذلك للقاضي ابي محمد عبد الحق بن
عبد الله بن مغيثة الغرناطي سنة تسع وعشرين وخمسمائة مذاكرة واكيف
تتضح الزيادة فيه وسيغ اليه وجوها في الاعانة على بنائه واعلموه ان كثيرا
من اوقاف المسجد عند كثير من اهل فاس قد ادخلوها في ضياعهم وحبسوها
على اسوالهم وانما تقدموا بالنفقة في الزيادة فشاور في ذلك الامير علي
ابن يوسف بن تاشفين واعلمه ان ذلك من رفع علم الدين والتوسعة
للمصلين لاسيما في الجمعة التي يحضرها من اعياد المسلمين فاذن له وتوجه الظلة
على المنظر أو الوكالة في ذلك ومحاسبتهم فيذكر ان الذي
فرد لذلك ثمانون الف دينار فضة ثم شرع في شراء الاملاك التي كانت بقبلة الجامع
فاشتراها باحسن شراء قيل انه اكثر مما كان للفقهاء لعنهم الله وحين كمل له
شراء ما اراد اخذ في هدمه وبيع ما لا يحتاج من نقضه فاجتمع من ثمن ذلك
ازيد من الثمن المشتراة به ثم اخذ في البناء في هذه الزيادة فكملت عشر
بلاطات من صحنه الى قبلته واخذ في علو القبة التي باعلى المحراب وما جاءها من
وسط البلاطين المتصلين بها فعمل ذلك بالجص المقرنص الفاخر الصنعة
وتغشى ذلك كله بصفرة الذهب واللازورد واصناف الاصبغة وركب
في الشمسية التي بجوانب القبة اشكال متقنة من انواع الزجاج وانواعه
وتم ذلك على احسن ما اريد عمله واخذ في تغشية بعض ابواب الجامع بصفايح
النحاس الاصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن وامر بعمل المنبر الذي به الآن
على نحو ما ذكر قبل من العمل الذي كان به قد درس وقد ذكرته ثم بدا بالعمل في بناء
مقدم القبة حيث يدخل الى محيط الحنايا فتنزل القاضي ولم يتم جاء الورد ذلك
في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقد تقدم غير ما مرة ولم يشرع في شيء من
ذلك وبقي على حاله الى ان رأى قضاة المدينة الشيخ الفقيه ابو مروان عبد
الملك

ابن سراج التميمي في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة فتم ذلك في
ايامه على نحو ما بدأه ابن مغيثة واقتصر على ما عاش في ايامه من الابواب
وكانا الفراغ من هذه الزيادات في شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة
ويذكر ان النقش والتذهيب الذي كان باعلى المحراب ودائر القبة التي
عليه غطى بالقاشاني وعمل عليه الجص حين عزم الخليفة عبد المؤمن بن علي
على الوجود للناس والصلاة في الجامع المذكور بانه ذلك كان مشغلا
للمصلين وبقي كذلك الى الآن ويذكر ايضا ان المحراب والكوان الذي في
هذه الزيادة كان خارجا من الكوان عميق تحت بعض هذه البلاطات الثلاث
والكوان الارباب مطبق بالقطعة التي بين المحراب وباب المدرج المحدث هناك
وان الماء الذي صرف في ذلك كان يستقى من البير التي بصحنه كل ذلك تحريا من
الشبهات كذا نقل صاحب الانيس وامر الثريا الكبرى عن
فانه كانت بحوضها قبل عمل هذه الثريا شلهاني الجرم فحدثت وتكسرت
وصنعت هذه في ايام الفقيه الخطيب ابي عبد الله محمد بن العلم رحمه الله
وكان الانفاق فيها سبعماية دينار وسبعة عشر دينارا وخمس دينار من
الوناير الفضية كل ذلك من مال احباس الجامع وفيها من الصفة ما يعجز
عنه الاوائل فوزنها سبعة عشر قنطارا وارجح قنطارا وارباع قنطار
وفي دورها اثنان وثلاثون شمعدانا وعدد اكبر قناديلها خمس يوقد بها
كل ليلة اربعة اقوار بر جهاز الزيت خمس قلل وكانت تارة
تسرج كلها في ليالي رمضان وتارة لا تسرج الى ان ولي الشيخ الفقيه
ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر قضاء المدينة فرأى انه انا اسرجت كل
ليلة من رمضان قد يكون ذلك سرفا في مال الجامع وانا لم تسرج قد يكون ذلك
تعطيلا لما اريد بها فاقتضى نظره انا استأذنا امير المسلمين مولانا ابا
يعقوب وانهى اليه امرها فامر ان يأخذ في ذلك بالاوسط في الامور
وان تسرج كلها في كل ليلة من ليالي السابع والعشرين من رمضان وتسرج بعضها
في سائر ليالي العام فمضى العمل على ذلك الى الآن فما قيل فيها

تبكي الثريا الثريا من تألفها ... وقد لواها نعيم وهي معقد
كانها لوذ بي الايمان اخذته ... من التفجع خوف العثر تقعد

وما قيل في السراج

www.alukah.net

انظر الى السراج في الليل حين شرقت ... من الزجاج حواها وهي تلتهب
كأنها الحسن الحيات بارزة ... عند الهجير فما تنفك تضطرب

وقال الزياتي في الثريا

انظر الى نورية نورها ... يصعد بالاذكار سجف الغسق

وقال ابن عبدون

كأنها في شكلها ربوة ... انتظم النور بها فانتسق

وقال محمد بن خلف

بأبي بها الشمس كاشرقت ... كاسا كما عند مغيب الشفق

وقال ابن المرحل

اعيذها من سوء ما يتقى ... وفجأة العين وحرب الغلق

وأما الموضع الذي عنده الآن فانه عمل في ايام الفقيه الصالح ابي محمد بيسكر ليوضح فيه مال الاحباس واوقافه وكان الناظر فيها بنيابته الفقيه ابو القاسم بن محمد وبناه بأن حفر قاعته الى ان وصل الارض الصحاحية ثم بلطه ذلك بالرمل والجير وجعل اسفله طاقة من الحجار كبار مبسوطة وطاقة من الرمل والجير وخص داخله بسقفه جنب الازرو عمل له خمسة مخافس بصفايح من حديد وبابان احدهما محمد الكل ذلك على الوجه المحكم والعمل الوثيق وجعل لكل باب منها ثلاثة صفايح وجعل في داخله ثلاثة صناديق كبارا عليها اقفال وثيقة ثم وضع فيه اوقاف الجامع واماناة الناس فاحتيل عليه في ايام القاضي ابي عبد الله محمد ابن عمران وسرق منه مال كثير واجتهد عليه في البحث عليه فعمي خبره واما البيلة والخصة ودار الوضوء واحداث البناء في توسع باب الخفاة وتجديدها وفتح الباب المقابل لفندق ابن حيون من الجهة الشرقية من الجامع المذكور فانه ذكر في ايام الفقيه العالم ابي محمد بيسكر جعل انه قدم رجل من جبال بني يازغة يعرف بموسى بن عبد الله بن كرات وكان له مال كثير واستوطن فاساء وزم هيئة الشيخ ابي محمد بيسكر وذكر له ان بيده مالا طيبا ورثه من ابيه وان اباه اكتسبه من حراثة بيده في ارضه ومن ماشيته تواردت عنده ويريد ان يصرفه فيما يحتاج اليه جامع القرويين

فتوقف

فتوقف الشيخ ابو محمد الى ان ينظر في ذلك وصار الرجل يلح عليه في ان يجعل داره وضوء بقرب الجامع المذكور لتكون عونا للمصلين فلما راى عزمه وتصميمه فيه الخير حمله الى الجامع واوقفه بين المنبر والمحراب واستخلفه اذ ذاك الامر الطيب فحلف له ثم قال له اشرع الآن فيما اردت فانه ينفعك عاجلا وآجلا بقصدك فعمد الى ذلك الموضع من موضع دار الوضوء الآن واشتراه واسوغ من نقضه ثم بحث عن موضع يجلب منه الماء لذلك فاعلم بموضع بئر استشار فيها اهل المعرفة والنظر فلم ير واله اصلح من بئر بوبره بحومة بئر تعرف العين بعين جرمال ومنها الى الجامع خمسمائة ذراع فاشترى ذلك باضعاف القيم حرصا على مراده ثم رغب الى الشيخ ابي محمد ان يعلم بذلك الناصر الموحد ويستأذنه في ان يجلب هذا الماء حيث يباح له من الشوارع فاجابه الى ذلك واعلم به الناصر فاسعفه فيما طلبه ثم شرع في بناء دار الوضوء وجعل لها خمس عشرة بيتا ولكل بيت حصر اعان فوق سقف كل بيت طاق لدخول الضوء واخر يفوق بابه واعلق في كل طاق من طيقان البوابها زجاجة من الزجاج تسرج في اول الليل وآخره وفي كل بيت انبوب من نحاس ينصب منه الماء في تغير محفور في صخر طوله ستة اشبار وعرضه شبر وعمقه نصف شبر وفي وسطها قبة من جص مغرسة العمل مرقشة بانواع من الاصبغة وعلق في وسطها ثريا ولها قوارير زجاج تسرج في اول الليل وفي آخره ايضا واحاط من الجهة القبلية والشرقية والجنوبية بيتا احدى طاقا له حول الضوء لجميعها وجعل بوسطها بيلة من الحجر الاحمر طولها عشرة اشبار وعرضها خمسة اشبار وفي وسطها ذراع مجوف وركب عليه شبه خرشنة فيها عشرون ثقبا كلا ما حاص نحاس ممزوجا بالذهب ينصب منها الماء للبيلة واحاط بها مقعد المجلس الستة ضفيتين وجعل بينه وبين البيلة طلعا يخرج منه الماء المستعمل في الوضوء الى منبر داير بذلك كله من الرخام الابيض وجعل على وجهها حصرية للقيم بها وقصد الى العين المذكورة فوجدها تنفجر من فوارتين في حجر صلد ويجتمع الماء منهما في بيت مقبب كبيت الحمام فجعل في ازائه صهريجا مربعا طول كل جهة منه عشرة اشبار عملها بالرصاص ليحتصر فيه الماء الخارج من البيت ثم اخرجه منه على شباك من رصاص يشبه الشبارة الى قوادس من رصاص سعتها الاكثر من شبر ثم مر بالمقاديس الى عقبة اللاحين الى مسجد الشرفا الى حائط القيسارية الى سوق الجزارين الى سوق العزافين الى العقدة التي اعلاها

www.alukah.net

بالحانوت المتصلة بالبيلة الغربية من باب الحفاة واخذ ما احتاج لمرار الوضو
وصرف بعض ذلك للبيلة المذكورة والسقاية المتصلة والبيلة التي بباب الحفاة
المغشية بالرصاص وطول هذه البيلة سبعة وعشرون شبرا وهي متصلة بخارج
الباب وقد عمل عليها شباك من خشب وفتح فيه اربع خوخات وارتفاع هذا الباب
ستة عشر شبرا وسعته ثمانية عشر شبرا وطول الملعب الفاصل بينه وبين
الصحن عشرون شبرا وعرضه ستة عشر شبرا فقد فرش في ايام الفقيه
القاضي ابي عبد الله محمد بن ابي الصبر بالرخام الابيض والاكحل ويتفرق
الماء من جهة الحدة المذكورة الى هذه البيلة المغشية بالرصاص ثم ينصب
منها على رخام ابيض وازرق واحمر يغسل عليه الحفاة ارجلهم ثم يغور
الماء في قناة معدة ثم قدم لعمل البيلة والخصة اللتين بالصحن رجل
من سجلماسة يعرف بالفقيه ابي الحسن بن عبيد الله السجلماسي وكان
من اعلم الدين والايثار لصنعها له ابو عمران موسى بن حسن بن ابي شاكة
وكان من اهل المعرفة بالبناء والهندسة بعد ان استشير فيه ذلك الفقيه
العالم ابو محمد ميكر فاستعفا بذلك وعمل البيلة وما حولها من الرخام
الابيض جعل طولها اثني عشر شبرا وارتفاعه ستة اشبار وعرضها
ثمانية اشبار وعمقها كذلك وجعل مما يقابل الواقف اليها من جهته
وشماله الواح رخام بذلك تكفيف رخام وجعل على ذلك
مما يقابل الواقف شباكا من الرخام من ماية واربعة وعشرين خاتما
مسدسة الاحكاء وكتب تحته في حجر منقوش بخط بديع لله
الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد وعلى آله وسلم تسليما وانا من الجارية
لا يتفجر منه الا نهار دائما منها لما يشتقي فيجتزي منه الآوان منها لما عبط
من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون كمل في شهر جمادي الاخرة سنة
تسع وتسعين وخمسماية وجعل تحت ذلك في الواح الرخام خمسة انابيب
ينصب منها الماء في البيلة المذكورة ثم يخور منها بعد امتلائها في عشرين
ثقبا معدة لذلك في الجهة الشرقية منها ويشرف منها للحفاة الغربية منها
من جهة غربيها قد عملت من طاقتين في درهما ثلاثة عشر شبرا قائمة على
ساق مقسوم على نصفين كل ذلك من النحاس الاصفر فيصعد الماء المحدر
من البيلة في النصف الواحد من الساق ثم يغور في وسطها من ثمانية
انقاب بجوانب خرشفة من نحاس مموهة بالذهب ثم يغور منها الماء
بعد امتلائها في انقاب معدة لذلك بجوانبها ويجتمع في النصف الثاني
من الساق فلا تزال البيلة والخصة مملوءتين ينزل ما سال منها

والبيلة

لمعارف

لمعارف المصلين والعاكفين والعابرين والحاضرين في وحنين ثم
وشربهم متى احتاجوا اليه في ليلهم ونهارهم وهذه فضيلة تشكر
على الدوام لهذا الجامع ولم تسمح في ذكر واعان عليه خليفة الاسلام
ثم سيرنا يخور من حاة الخصة الى السقاة التي بالبيلة القبلية من الجامع المذكور
واما العنزة التي به الآن فانها صنعت حين كان الفقيه ابو عبد
الله محمد بن ابي الصبر ناظرا في احباس جامع القرويين ومن عوايدها
انفق فيها ذلك سنة ست وثمانين وخمسماية وغيرها من غرابة الصنعة
وغاية الصنعة واتقان الالحاق ودقة النقش وجلالة الاحكاء
مما يقضي بالعجب ويضرج بالاعجاب ومما اصلح الحائط الشرقي ومع
سقف البلاطين به وذلك في ايالة مولانا امير المسلمين المجاهد في سبيل
رب العالمين ابي يعقوب رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثمانين وخمسماية
وانفق فيه من مال الجزية والاعشار واصلح البيض الحائط الجوفي
من حد الباط الفاصل بينه وبين الدار المرتفعة لكن ايمته الى
حد باب الصفر الذي هنالك وذلك في ايالة مولانا امير المسلمين
ابي يعقوب رحمه الله وانفق فيه خلخال ذهب حاز له من غنايم الروم
وكان اصلاحه على يد قاضيه بالمدينة الفقيه ابي غالب ابن القاضي
ابي عبد الرحمن المخطط وذلك سنة ستة وتسعين وخمسماية ومما
احدث فيه الباب المدرج الذي بقبليه وذلك ان الوالي في زاك
بالمدينة ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم المروري تأمل الباب المدرج
الذي بقي في ايام الموحدين بجوف جامع عدوة الاندلسيين
من المدينة وراى ان ينجم ابرجا مع القرويين ويصنع له هذا الباب
ليكون حائلا للباب المذكور عنه على هيئته الآن وصنع
اسفله تغير من خشب مصفحة بالرصاص وجلب له الماء في عيون ابن الهادي
المعروفة بعين الكرازين ليمر خلف الحفاة وغيرهم وعمل عليه شباكا من خشب
الارز يمر خلفه ماء اذا صعد الى ادراجه وصنع باعلى الادراج بابا
مقطيا يمر خلفه لقبلة الجامع وصنع عن يمين الخارج من اسفل الادراج
سقاية والحجر المنجور وانواع الاصبغة كل ذلك بصناعات
محكمة ظريفة العمل وجلب اليها الماء من الموضع المعروف وبنوكر انه انفق
في ذلك من مستغلاته في سنة وتسعين وخمسماية واراد ان يعلم بذلك الجمهور
المسلمين ابا يعقوب رحمه الله وليجعل ذكر حرمة له ثم ان من عمل الجاد بالسعادة
اليه ورفع لامير المسلمين انه احدث بالجامع ما لا يحتاج اليه فيما ذن فيما مر

www.alukah.net

امير المسلمين بتعلمه الى ان ينظر في امره فتغافل عن ذلك ولم يزل الباب مغلقا الى
الآن ومما احدث فيه الامير المرحوم ابو حفص بن امير المسلمين
ابي سعيد رحمه الله ان جعل في الجهة الغربية من الجامع تسعة من الطيقان لزيادة
الضوء في تلك الجهة وامر ان يجعل على الجواب مقصورة وشرع الصناع في عملها
واستكملت من الآلة اجنابا من خشب الارز بصناعة التعاشيق ارتفاع كل جنبة منها
تسعة اشبار وطول الاوسط منها اثنا عشر شبرا ومدار الدور صنع فيه الباب وطول
كل واحد من الاخرين خمسة وعشرون شبرا ثم ان الناس ظهر لهم ان في ذلك
مضرة بانقطاع الصفوف وحيلولة بعضهم من الامام وغير ذلك من الوجوه
ورفعوا الامر في ذلك لفعلتها فيهم وبينوا له ما ظهر للناس من الضرر فقالوا له
مع ذلك امور مصلحية فرجع عن عمله ثم وضع من جملة من جهات الجامع وهو
الآن فلقي بملعب الباب المدرج المغلق وكان في سنة اثنى عشر وسبعمائة
وكان الانفاق فيه من مال الاحباس على يد الناظر فيها ابي عبد الله محمد بن
حيون وكان مولانا ابو الحسن رحمه الله اراد ان يجعل بهذه الاجناب المذكورة
مقصورة بجامع القصبة من فاس للعنزة الزينبية وقد صنعها فاشبي ذلك وامر
اعلم وامر الفراقوس الكبير المعلق بالبلاط الاوسط المقابل للباب
الكتبيين فهو الذي يعمل الفتح من بيرا الاندلس حين استفتحها المسلمون
على يد الامير الاسعد الشهير ابي مالك عبد الرحمن بن امير المسلمين ابي الحسن
رحمهما الله ونزلته فجاذكر عن الذي جلبوه عشرة قناطير وامر
لناس امير المسلمين ابي الحسن امر اخذ يعلق هناك بعد ان يعمل في جوانبه ابناج
قائمة منفرجة يبقى جرمه ظاهرا ويعمل عليها مراكز بعقار بر الزجاج التي
تسرج فيه وباسفله اوصال اصلغيها اثنى عشر رعنا كل وصل منها
تكفف وفي وسط ذلك طبق شبه الحاتم ثابت عن الاوصال وفي اسفل حروف الطبق
بياض مخروطة ونطاق مصور فوجه الاوصال كل ذلك من النحاس الاصفر المنقوش
المخرم بالصناعة المحكمة وكتب على النطاق الحمد لله وحده امر بتعليق هذا الناقوس
المبارك مولانا امير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ابي يوسف يعقوب
ابن عبد الحق ايد الله سلطانهم واسعد عصرهم وزمانهم وهو الناقوس الملبس
الملغى بجبل الفتح افتتحه بعون الله وتاييده مولانا امير المسلمين ابو الحسن
ايده الله ونصره على يد ولده الامير الاسعد ابي مالك ايده الله ونصره
حاضر مرينية سجلماسة وكان افتتاح الجبل المذكور في يوم الاحد الخامس
لشهر شوال المبارك من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة والله يرثوه كذا
نزع وضعه وقاد الجامع المذكور في انا عمل الناقوس كما ذكر على له
هناك قبة من الجص مستقلة العمل علق بها منتصف شوال السنة سبع وثلاثين
وسبعمائة

وكان الانفاق في ذلك كله سبعون دينارا من الزهب من حال الاحباس
على يد الناظر فيها احمد بن محمد بن الاشقر الصنهاجي واما
خزانة الكتب التي يحظر النظر فيها من اعلى الموضع الذي بالجامع فانه لما كان مولانا
شيخ مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله حب العلم وايثاره والتعلم به والرغبة
في اقتنائه والاعتناء باهله ومحليه والتعدد لقرائه ومنتحليه امر صنع
هذه الخزانة واسع طلبة العلم بما اخرج لها من الكتب المحققة على انواع
من علوم الاديان والابدان والاذهان واللسان وغير ذلك من العلوم على
اختلاف فنونها وشتى ضروبها واصنافها او قفها ابتغاء الزلفى ورجاء ثواب
الله الاوفى وعين لها قيما لضبطها وخازنا حافيها واجرى له على ذلك جراية
وافاده مكرمة وعناية وذلك في جمادي الاولى سنة خمسين وسبعمائة

واما خزانة الصاحف التي جعلها مولانا المتوكل ابو عنان رحمه الله
في قبلي صدر هذا الجامع فانه صنعها لما سهله على الناس من تلاوة القرآن
في الوقت الذي امن الازحام جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البينة
الجميلة السنية وابا حها لمن اراد القراءة فيها بعد ان كتب على كل جزء منها بخط
يده بتوقيفها هذا الاعوام واللياكوه الايام وعين لها من يتفرد باخراجها
من هذه الخزانة واحرازها ورد ها الصحيحة منها في موضعها وذلك عند الفراغ
من حاجات الناس فلا يتنقل ذلك ولا يغير الى ان يرث الله الارض ومن عليها
واجرى جراية واسعة كرامة ورعاية وتم عملها في شهر شوال سنة خمس
وسبعمائة واما زاوية القرآء البهية الغراء التي امر بها مولانا
المستعين عن يسار قبلة هذا الجامع الطاعة بالخير الجامع المتشاكلة
الاوضاع الواقع على حسنها الاجماع التي لم يسبقه اليها احد من ابناء هذه
الاصقاع فانه اقامها على با ك وجعل بقبليها وجوفيها من صناعة
الخرط والتعاشيق والتزيين بالاصبغة ما يبهج به الناظر والسالك ورتب
فيها قراء يقرؤن القرآن ويختمونه في كل سبعة ايام بطول الازمان واجرى لكل
جراية في كل شهر ينتفعون بها ويرتبون لذلك بسببها وتم عملها في اواخر
شهر رمضان سنة اثنين وستين وسبعمائة والله يجعل ذلك في ميزان
ويضاعف به الحسنات من ديوانه ولهذا الجامع من الابواب بين صغار وكبار
ثمانية عشر بابا منها في الجانب الغربي باب مجلس القضاة للمخصة
الجنايز وباب الصغير المعروف بباب الشماعين وباب الاولياء
سمي بذلك لكثرة ما يدخله من العباد وباب الكتبيين وباب الشماعين الاكبر

www.alukah.net

وسعته ستة عشر شبرا وارتفاعه اربعة وعشرون شبرا وباب المؤنثين
المقابل لتربيعة العراقين وارتفاعه مثل الذي قبله وفي الجانب الجوفي
باب الخصاة المقابل لدار العصوة القديمة وباب الصفر المعروف بباب الحيان
سمي بذلك لكثرة ملازمتهم للقعود بمقربة منه حذو بساتين الناس وباب
بيت العنبا الاصفر الذي يعرف بالصحن وباب الخصة المقابل لباب مدرسة
الرخام وباب بيت النساء الذي يسفل الساباط الفاصل بين الجامع وداره
اعمته وفي الجانب الشرقي الباب المقابل للطايفة لغنوق ابن حيون ويعرف
بباب ابن عمر سمي باسم النجار الذي صنعه وهو المحدث في ايام ابي محمد يسكر
والباب المقابل لدرب ابن حيون والباب المقابل لدار الخصة التي في احياله
والباب المدرج المقابل لدرب السبع لوثيات ويتصل بزاوية الغرا التي احدثها
معلانا المستضيء وفي الجانب القبلي باب المدرج المحدث عاليا على الحرود
المعلق الآن والباب الاصغر الذي يدخل اليه من رابعة ابن الغمر بسا المعروف
هناك لم يدخل مستترا اليه عن اعين الناس كدخول النساء للخصومات
والايمان وتقاضيها وغير ذلك مجلس القضاء والصحن الصغير
والزاوية التي هناك بمقدم القبلية بابان فاصلان ان لذلك وبين مقدم الصحن
والزاوية المذكورتين وقبلية وخمسة ابواب الباب الاول يدخل منه الصحن
الصغير وصلاة الجمعة عن يسار المحراب وباب موضع المنبر وثلاثة سواه
لها اغلاق عند فتحها من العمل الجيد والصناعة الغريبة والباب الاول من
هذه الثلاثة القريب من المنبر منه يخرج الخطيب للجمعة ومنه يتوجه للصلاة
على الجنايز وبه مقام المعلم بالجنايز التي تكون هناك وعدد سواريه الخامسة
السقوفة ثلاثمائة سارية وخمسة عشر من جمع طوق غريب الخلقة المستركبن
جملتها اثنان وثلاثون وسايرها يدار عليها وهي الاتقان الغريب
في احد هذه السواري الثلاثة منهن عن يميني الواقف مستقبلا تحت الثريا
الكبرى يبصر من داريها جميع ابواب الجامع التي بداخله وطولها من شرق الى
غرب ثلاثمائة شبر وثمانون شبرا ومن مقدم القبلة الى الحوض ثلاثمائة
شبر بعد تابيس المقدم المذكور واضافته له وعدد بلاطاته احد
وعشرون من شرق الى غرب وسبعة عشر من مقدم جامع الى جوفيه على ان
يكون قدر مقدمه بساطة بلاط واحد ويندرج فيه الصحن الاكبر الذي طوله
من شرق الى غرب ثمانية شبر وثلاثة وتسعون شبرا وعرضه من قبلة الى حوض
خمسة وسبعون شبرا وبلاطاته السقفة احد عشر بلاطا
وساحته جميعه ثلاثة مراجيح وثلاثة ارباع المرجح السلمية وعلاوه
من المصلين ثلاثة عشر الف شخص على ان يكون في البلاط سبعمائة وخمسة
وسبعون شخصا وبكل طاقية اربعة شخوص وفي الصحن مائة وسبعون شخصا

وفي اوساط البلاطات مائة وخمسة وعشرون شخصا بعد حط موضع السواري
وبعد الترجرج فيها الصحايح مائة وثلاثون ثريا جميعها
من النحاس مختلفة الصناعات وانواع شكاراتها المهمات منها عشرة كبار
معلقة في البلاط الاوسط ويندرج في هذه العشرة اثنتا عشرة المعلقة
بالنحاس وباقي الثريات وذلك مائة وعشرون معلقة في سايره وعلوه وما
فيها من مراكز السرج الغالب يوقد بعضها في سايرليالي السنة وبكثير
منها في ليالي رمضان ويوقد جميعها في ليلة السابع والعشرين منه
وعدد صحايح الزجاج التي توقد ابيض فيه بطول ليالي السنة سبعون
خمسة العراقيات منها مخموسة وسايرها بلدية وبلديات وعلى
من خارجه بدار فيها حوانيت صغيرة ومعروفة اربعة عشر حانوتا يستأجر بها
المارون في طرقه وقد اعد لخزنة ذلك كله على الكمال وحسن احكام ذلك واجرى له جرايه
من فوائد احباسه وينبغي ان تكثر مرحمه وتغلظ فتاتله اذا كثر ماله
فان الاضاءة بها الصنجدين وتغنيا عكان الريب وهدايته
للسابلة وتنزيهها لبيوت الله عز وجل من وحشة الظلم وصبغ غلات
وقافه على اختلافها في بعض الاعوام عشرة الاف دينار فضية ومن
جملتها الفندق الكبير الشهير الذي بسوق الشماعين المجاور للحبس عليه
من قبل امير المسلمين مولانا ابي يعقوب رحمه الله وسبب تحبيسه انه
كان من جملة المستخلص لجانب الخلافة وخرب واهمل فلما كان في ايام
ولاية ابي عبد الله الحدودي بفاس امره القاضي ابو ذاكر بها الفقيه
ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر ببنائه واصلاحه فتوقف في ذلكره واراد
ان يكون باذن من الخليفة فاستشهد به ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر
المذكور على نفسه شهد والله ان لم يوقف له في المحاسبة والاخهر الملزوم
للا انفق فيه فبناه الحدودي على ما هو الآن عليه تحت نظر القاضي ابي
عبد الله المذكور ثم اعلم بذلك الخليفة ابو يعقوب رحمه الله فبعث الى
الحدودي في ذلك فاعتذر له وبين له ما التزم له ابو عبد الله بن ابي الصبر
فاغاظ ذلك الخليفة وامر باشخاصه وبعث اليه الحشم فوجدوا بعد قوم
وخفي من ذلك عليه فلما بلغ الحشم لاشخاصه صار يستاني في
الطلوع للخليفة والحشم يتراقبون عليه ثم انه طلع وسرق اثناء ذلك
على الزاوية التي دفن بها الامام الحافظ ابو بكر بن العربي رضي الله عنه
واذا بفقير خارج منها وهو يخاطب ابا عبد الله بن ابي الصبر ويقول
له قل بغني لطفك بلطيف صنعك بحيل سترك ادخلت في لفظ مشقت

بنيك فحفظ ذكره وجعل على الخليفة، هو يكرر هذه الالفاظ فاقعده بازائه
واظهر له الاكرام والاعتناء به ثم سأله عن سبب امره المحمود في بيعاته للخليفة
فقال له امرته بذلك فانه غلب على ظني انك تجتمع على جامع القرويين فاحسن
الكرامة وشكره واسعده في الحين بطلبته كذا كان يتذكر النقل عن ابي
عبد الله بن ابي زرع وغيره وصارت هذه الالفاظ التي تداولها وكان
تعيين الخليفة بسببها عند الناس كالمراس فصار احرزا ادار عاشور لوبا
بها في حوائجهم وظهر بسببها لكثير من الناس في مطالبهم ويذكر ان الرجل
الذي القاها اليه هو الخضر عليه السلام وعلى ذلك المعول بينهم في
غالب الاوقات اربعون شخصا ولهم على ذلك فوائد وعوائد مختلفة

على واما قراءة الحزب من القرآن فيه بعد صلاة الصبح والمغرب
فانه كان امر به يوسف بن عبد المؤمن بن علي في سائر بلاده كما نقله ابن حماد
الصلاة وانتدب لذلك ناس واستمر الى ايالة مولانا اميرالمسلمين ابي
الحسن رحمه الله فاجرى جراية لعشرة من القراء الذين لقراءته في سائر جوامع
بلاده واما قراءة الكتب فبعد لاسماع الناس بعد الفراغ من قراءة
حزب الصبح فان بعض ايته الجامع في ايالة بني مرين اعزهم الله تعالى
كان كثيرا ما يقرا ابين يديه في اول النهار تفسير القرآن للثعالبي وحلية الاولياء
لابي نعيم وذكر في جملة حمله وكان له قارئ محسن مجيد لذلك فيحضر له بعض الناس
وكان اكثرهم يجلسون فيه حتى قيض حلقا حلقا وربما خلفوا في امور الدنيا
الحاد يطلع النهار فينصرفون واشار هذا الامام على القارئ ان
يتصدر قرب المحراب في الوقت المذكور ويقرا هناك لان
هذه الكتب للاسماع فاجتمع اليه سائر من كان يجلس به وانتفع الناس
بذلك كثيرا وربما اجتمع في المجلس الاثنان من الناس في سنة احدى وخمسين وذلك
وستمائة واعلم بذلك اذ ذاك من كان من الخلفاء فالتزمته واجرى للقارئ
لذلك جراية ثم بعد ذلك زيد في قراءة الكتب قراءة الاحياء لابي حامد الغزالي
وفي ايالة مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله امر بزيادة كتاب الشفا
للقاضي ابي الفضل عياض فاستمر العمل على ذكر الى الان وقد
جرى فراغها بقبلته فيما حكي عن امير المسلمين ابي يوسف بن عبد الحق رحمه
الله لما امر ببنا المدرسة البيعقوبية التي بقبلته علم يرقاضيه ابي امية
الاندلسي سنة خمس وسبعين وستمائة وكان الوزير انغمر وبنصب قبلتها المهول
ابو عبد الله محمد بن الحباك ولم يشاركه في ذلك غيره من اهل علم الهيئة وظهر

اسنها

انها منحرفة عن قبلة جامع القرويين انتهى الامر في ذلك لمولانا اميرا
المسلمين ابي يوسف وقال بعض من حضره ممن لا يحسن السؤال والجواب
في ذلك ان في بعض مساجد فاس انحرافا بعضها عن بعض فراجعه الله
ان صحيح فقهاء زمانه ينظر في ذلك فيحكم انهم قالوا له ان جامع القرويين
قد نصبت قبلته على سمت القبلة التي نصبها الامام العالم ولي الله ادريس
ابن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
ومعلوم ذلك متيقن من السنين وقد صلى اليها جماعة من العلماء والصلحاء
والقضاة وامراء العدل من يقتدى باقوالهم وافعالهم فمن لا يحل لاحد
ان يظن بهم الا خيرا فلم يغيروا ذلك ولا حرفوه وما يظهر في بعضها من انحراف
بعض قد يتعذر باحد الصوابين على رأي من يرى ان المطلوب من
قبلة حضرنا بلد من قبلة سائر الآفاق انما هو الجهة بكمالها التي شرفها الله تعالى
والجهة في ذلك حاصلة هذا القول هو الراجح والافلين يتعذر على تعيين السمت
اعني سمت البيت الكريم غاية ما عند الناس في الآفاق الغائبة عن مكة شرفها
الله المحافظة على جهة البيت لا سمته واجتهاد الاكثر اقرب الى الصواب
ولا يبعد من الخطأ وقد يؤثر مخالفة الاكثر الا شذوذ بين المرجحين والاحوال
في صلاة المصلين فاقر ذلك بلا على حاله رحمه الله وقد سلم هذا الجامع
من البدع القبيحة ولم يتعرض فيه كما تعرض في بعض جوامع الآفاق ومهما
ظهرت فيه بدعة فالله سبحانه يلهم من يزيلها فيزيلها وجرى في اول
الناسخ وآخر بعض نسخاته ان بعض الموجودين لقراءة القرآن فيه كان
يقعد بين يديه الاحداث من الصبيان لتجويد القرآن فيجتمع اليه الى
ان حدثت فتنة بسبب ذلك فرفع ذلك للشيخ الصالح الفقيه المدرس الى
فارس عبد العزيز بن محمد القروي رحمه الله فاشار على بعض من له حكم نافذ
ان يستند في تغيير ذلك ويمنعه كل المنع فمنعهم وفرق جمعهم واحسبه لما
علم ان هذا الصبي القاري بين يدي هذا الشخص ليس ممن يقصد التعليم
وليس جلوسه كجلوس المتعلمين امرا فاته علما على ما في المدونة وغيرها
من اجازة الفتوى يجلس في المسجد يوم الخميس ويخيره القراءة القرآن ونظم اذ
ذاك الشيخ الاستاذ المقرئ ابو الحسن بن سعيد رحمه الله قصيدة وقرئت
على الشيخ ابي فارس المذكور فكانت فراشتداده عاجها هذا القارئ والمقرئ
وما هو

الألوكة
www.alukah.net

الا خضوعا عن مقال الدهر الجد
اقوال حسنا بالس حتى تعصبا
ودور العلم فالاقرا اضاعوا صفاتهم
رياء وعجب وانتصاب وشهرة
الم ترى اس الغرب اعظم قدرها
لغلو عبادات تسوغ وموطن
بدت بدع فيها ولا منكر لها
تبوز للاقرا فيها جاهة
ومالهم فيهم يميز ما حوت
سوى نغم يبدو

فبعضهم من جملة وخيسها
ويقرئ تلميذ الذكا خصه
وعن مثل هذا اخذ الجد مالك
وبعض تلاحيذ له حسن صوره
كما تراص نحل قد مليئ بسمها
فيقعده اما ملاحق جنبه
يظنه بالقرب منه مكانه
ويعقبه جزا الوعظ افعا
يردده في الجعل بالمل
وجل كتاب الله حتى حالة الغنا
وهذا لعمر الله اكبر بدعة
لقاعلها ذم وتغليظ زاجر
ينصب بالقرا ان للذكر اوكما
وما هذه آثار قوم تقدموا
فقد عرفوا عند النهار بصومهم
ويتلونه والدمع قرح جفنهم

لمنهج اهل الحق يسعد الصدق
على احد من نصفه العقل
ولم يبق منها غير مارسم يبدو
وتسميح من يرجى لتسميعه رفد
وجاهرها العظمى التي هي تعتقد
لحج رجال ايه يا تونسا وقد
وابوابها ان فتحت فلها السد
ولا خبرة تبدو لديهم ولا نقد
طريقة اهل الضبط حفظ ولا نقد
وتطريب الحانا لمن راح او غدا
بجمع حفلا ليس يحضره الحد
لدى كل اسبوع تعلمه الصد
وقال لمن يبديه في المسجد الطرد
شبابا له صوت جميل الهدى يصدو
فما ظنها حشف وظاهرها شهد
واما اماما بارز الثوب يشدو
وذلك عند الله جل اسمه بعد
به صوته كيما القلوب له تغدو
برفع وصد هكذا الصدر والورد
وتطريب اصوات بها يقع الوجد
تقابلها النفع المبرح والرد
وايضا وعيد في القياحة لاح عد
يوم من التعريم فاعله وعد
من اهل كتاب الله افنامهم الجد
وفي ليلهم ايضا
جوار رية تشاب قابلها الجد

نعت

نعت بهم الاعصار يبكي نقدهم
مضى سلفي الاخيار اكرم بنقدهم
وليس لهم يتدبروا

بجميع علوم الخلق منه تفرعت
اوامره والنهي قد اوضحت به
وقد حرمت فيه الفواحش ظهرها
وقد جاء بالاخلاص فيه اوامر
فمن أدمها احكام مستفتيا
وفي صحبة الاحداث اليسر يختفي
تخالطهم في دينه ليس يرتدي
وقد جاء في بعض الاحاديث أنهم
ولا يصلح الصبيان الا لمكتب
فعمرو بن يحيى ومدرك عسرة
بما تضرب الامثال فاحذر سلوكها
فكم من جليل القدر قد حط قدره
فلا تقبلوا النصح فانى نصحتكم
فمن كان ذا نصح بعلم يعين به
وقال الامام الشاطبي وجيزا
خذوا النظم عني وانظروا فيه كرة
وان لاهل العلم والدين خادم
فهم عمدتي فاعدد ينفعني بهم
واما رعاع الناس من كل مدع
وليس على الاهمال منهم حلاوة
فهم مثل ما قالوا كزاهة عندنا

خيار الورى منهم الفقد
واصبرهم قوم قد ابتدعوا انكد
معاني كتاب الله اذ منه يبتدي
وحل حدود الله فهو كما حدوا
ولكن عني الجهل عن ذاك تستدي
سوى ظلمة او باطنة حال الهاجر
وذم رياء الناس جاء به الرد
فقد رام ارباب الشريعة تسدد
من الذم اذ في فعله عدم الحمد
ولو بعد حيث او شياطينه جند
لهم فتنة شبه العذارى فطالما
وليس لهم فيه موطن غيره رشد
ببغداد اذ منها غدا المنع يشتد
طريقة حتى يغيبك اللحد
ورفعته لما تالغم المرد
ونفسي قد اوحيتها ذاك لا تعدو
باخلاص تقوى الله يتبعها الزهد
بابياتها التي تكفلها المجد
فلا يختشى في الحق عمرو ولا زيد
نعم واشهدوا انى لهم في الورى عبد
وتشملني البشرى من الله يا سعد
فليس له قبل لديه ولا بعد
مغتفرة منها الصغا
ومن انتم حتى يكون لكم عتب

وقد تركت الشارح اليه في هذه الابيات وهو الذي انشأ الرجز المزدوج المشهور الذي شاء به مع عمرو بن يحيى النصراني المكوفي

www.alukah.net

كان سيعراء وادركته في اثناء ذلك فتنة تعفو بها من الضلال بعد الهدى وهو

من عاشق ناء يعاوده داء ... ناطق دمع حامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان ... معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يد الا ... كانما
يا ويحه من عاشق ما يلقا ... منه ادمع منهلة ما خرقا
ناطقة وما احارت نطقا ... فمير عن حبه له استوقا
لم يبق منه غير طرف يبكي ... يا دمع مثل نظام السلك
تطفو ثيران المهدى تنكي ... كانها قطر سحاب تحكي
اليوم غزال من بني النصارى ... عذار خديه سبا العذارى
وغادر الاسد به حيارى ... فريعة الحب له اسارى
رمى بدار الروم رام قتلي ... بمقلة كحلاء لا من كحل
وطرفه بها استطار عقلي ... وحسن وجه وقبيح فعل
ما ابصر الناس جميعا بدرا ... ولا رأوا السمار غصنا نضرا
من غير عمرا ... ظبي بسينه سقاني خمرا
ها انا بعده مقعود ... والدمع في خدي له مخدود
حاضر من فقدي الموجود ... ولم يغب مغطى الصدود
ان كان ذهني عنه الاسلام ... فقد سعدت بي تقضه الايام
واختلت الصلاة والصيام ... وجار بالدين لنا الحرام
يا ليتني كنت له حليها ... اكون منه ابدا قريبا
ابصر حسنا واشم طيبا ... ولا اراه اشيا خشنا ولا رقيبا
يا ليتني كنت لعمرو بانا ... الثم منه الثغر والجثانا
او جائليا كنت او حوارانا ... كيما يرى الطاعة لي أمانا
يا ليتني كنت لعمرو مصحفا ... يقرأ مني كل يوم احرفا
او ظلما يكتب بي ما ألفا ... من ادب مستحسن ما صنفا
يا ليتني كنت لعمرو عوده ... او حبة يلبسها مقوده
او بركة من اسمه ما خوذه ... او بيعة في داره مشهوده
يا ليتني كنت له زنارا ... يديرني في الخصر حيث دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا ... صرت له مسيئة ازارا
قد والذي يبقيه لي افنائي ... واخلق عقلي والصفا كماني

ظبي على البعاد والتداني ... كل محل الروح من جثماني
واكبدي من خده المدرج ... واحزني من ثغره المفلج
لا شيء خير الطرف منه الادعج ... اذهب للنسك او التحرج
اليك اشكو يا غزال الإنس ... ما بي من الوحشة بعد الأنس
يا من هلا لي رحمة وتحمني ... لا تقتل النفس بغير النفس
جد لي كما جدت بحسن العود ... وارع كما ارعى قديم العقد
وامر الصدى عن طويل الصد ... فليس واجد بذاك وجدي
ما انا في حر الهوى غريق ... سكران من حبك لا افيق
تقرق في العدو والصديق ... محترق حاسفي حريق
فليت شعري هل ترى لي ... من سقم بي وضنى طويل
ام هل الى وصلك من سبيل ... لعاشق في حسه نحيل
في كل عضو منه سقم والم ... ومقلة تبكي بدمع او بدم
شوقا الى بدر وشمس وصنم ... منه اليه المشتكى اذا ظلم
اقول اذ قام يصلي وقعد ... يا عمرو يا عمرو قلبي بالكمد
اقسم بالله يمين المجتهد ... ان امر أسعده اذا سعد
يا عمرو ناشدتك بالمسيح ... الا سمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح ... باح بما يلقى من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت ... والروح روح القدس والناسوت
ذاك الوسيم في نهد المبخوت ... عرض بالنطق من السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم ... حلر محل الريق منه في الفم
ثم استقام في حتوم الاقدم ... يكلم الناس وما يتكلم
بحق من بعد الممات قمصا ... ثم بنا على مقداره حاقصصا
وكان لله تقيا مخلصا ... يشفي وبهدي اكمها واعرجا
بحق محيي صورة الطين ... وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور ... يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع ... من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع ... خوفا من الله بيوم طامع
بحق قوم حلمتا الرديا ... وعالجوا طول الحياة بؤسا

الألوكة
www.alukah.net

وترعوا في البيعة الناقوس
بحق ماره مريم وفوليس
بحق قاقيل بحق يونس
ولينوا اذ قام يوعو ربه
ومستقيلا باقيل ذنبه
بحق ما في قلة البروج
بحق ما يوثر عن شمعون
بحق اعياد الصليب الزهر
وبالمعاني العظيم القدر
وعيد سمعيا والهياكل
يشفي بها من كل جبل خابل
بحق سبعين من العباد
فارشدوا الناس الى الرشاد
بحق ثنتي عشرة من الامم
حتى اذا جاء الوجا عم الظلم
بحق ما في محكم الانجيل
وحرفه جليل
بحق من عبد الشفيق العالم
بحق شكيها الحكيم الراجح
بحق معموذية الارواح
ومنابه من لابس
بحق تعميك في الاجساد
وصول تبييضك للاكباد
بحق ما قدس سمعيا فيه
بحق سطوار وما يرويه
شيخان كانا من شيوخ العلم
لم يعطا قط بغير فهم
بحرمة الاستغفر والصران
والقيس والسماس والدوران

مشتغلين بعيدون عيسى
بحق شمعون الصفا وفطرس
بحق حزقيل وبيتا المبرس
مطهر من كل سوء قلبه
ونال منا ما احبه
من نافع الاذى آه للمحبون
من بركات الخوص والزيتون
وعيد اشموني وعيد الغطر
وعيد لوما الرفيع الذكر
والوخن الوقت بكف الخاطر
ومن وخيل السهم في المخاطر
قال مواليد بن العدن البلاد
فظ اهدى من لم يكن بها د
صاروا الى الاقطار يتلون الحكم
صاروا الى الله وفازوا بالنعم
من محكم التحريم والتحليل
عن جليل
بحق لوتاس الفعال الفاضح
والشمدا بالفيلا الفصاضح
والمذبح المشهور في القواح
وعابد باكر ومن نواح
وشوبكم القبعة كاد
بما يعينك من السواد
بالحمد لله وبالتحنة
من كل ما حوى له خفيه
وبعض اركان التقى والحلم
مرتبها كان حياة الحصم
والمائليق العالم الرباني
والقمص الاكبر والرهبان
بحرمة

بحرمة المجموس في اعلى الجبل
وبالكنيسة القديمة الاول
بحرمة الاشعيا والمرام
بحرمة الصوم الكبير الاعظم
بحق يوم الذبح والاشراق
والوهب المذهب للتعارق
فكل من قر على قراس
الاراستي في رضى اديب
قد ذاب من شوق الى المذنب
فانظر اجيوز في صلاح اتوى
وكتبا في جميل الشكر

وفار لوجا حين صلا والستبل
وبالسليح الرتضى عبا فعل
وما حوى مقدار ابن مريم
وحق كل بركة ومحرم
وكلمة الميلاد والسماك
والقصح الاعمل بلا خلاك
فوس قس على الشماس
بامرة الكبير الحبيب
اقصى حناه اخصر التقريب
محتسبا في عظيم الاجر
في نشر الفاظه ونظم شعر

ولولا ما التزمناه من شكر المحامات ودفن السيئات لشرحنا ما قاله من المحن والآفات والله يعصمنا من الغفلة والزلات بمنه وكرمه وطوله

وهذا الجامع قد يشكو بلسان حاله في بعض الازمان عند اهماله وذلك ان الذين اسسوه وبرزاده وافيه الزيادات وبرتبوه وجسوا له الاوقاف وعظموه وصنعوا السرف منها في غير وجه وحذروه انما فعلوا ذلك بنيات صالحة وعزمات ناجحة ولكل امرئ ما نوى فينبغي ان يسلك فيه طريق الاولين واتبع فيه سبيل المؤمنين والقيام بالمساجد الآن من اركان الدين وعلمارتها وانظافتها شرط في صلاة المصلين وهي بيوت الله التي اذن الله ان ترفع وتطهرت للقائمين والراكعين والركع واحوال الدنيا الدنية فيها ممنوع واعمال الدنيا فيه والاخروية كراهة والصلاة هي اول ما ينظر فيه من اعمال العبد فاما القربة من الله يتقيد لها والطرد والرد بردها فرحم الله عبدا وافى حقها واديه الامانة التي طوقها وضبط احوالها ونما مالها واخذه من حله بالطريق المعتبر بعد اجتهاده وصرفه في مواضعه بالنظر الوفي ورجح السداد فذلك يكون من رفع قدرها واستوجب من الله اجرها ومهما استصعبه باهمال الاعراض والاغفال شكت اذ ذاك بلسان الحال ازهد افصح من لسان المقال

يروى ان مسجدا من المساجد ارتفع الى السماء شاكيا الى الله باهله يعلمهم فيه واعمال الدنيا فاستقبلته الملائكة وقالوا بعضنا يسلم اكلم حكي فمارا

الاحاديث في كتاب النهي عن الحوادث والبدع الذي من تواليفه وحملني على حرر هذه الفصول التنبيه لمن ولي امرها من الغفلات واتباظهم من السيئات عسى الله ينفعني واياهم في الحياة وبعد الممات

واما بناء جامع الاندلسيين فان الذين اعتنوا بتاريخ فاس ذكروا انه ابتدئ البناء فيه سنة خمس واربعين ومائتين على يد مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري بعد ان اشتريت ارضه بوجه صحيح وانفقت في ذلك كله من مالها المورث من ابيها وسمي بذلك لان الامام او رئيس ابنا او رئيس لاوفد عليه وفد من اهل جزيرة الاندلس انزلهم بالعدوة الشرقية من فاس فسميت بذلك عدوة الاندلس فلما اسس جامعها وكان من اعان على بنائه جملة من الاندلسيين الساكنين هناك سمي بجامع الاندلسيين قال البكري في مسالكه انه كان من كبار بلاطات وله صحن صغير فسيح به اصول جوز وغيره من الاشجار وساقية غديرة غزيرة تشرف بسقاية مصمودة يذكر ان احد عمال الناصر الله المرواني حين تغلبوا على بعض بلاد المغرب زاد فيه زيادات من جملتها الصومعة التي فيه وذلك في جمادى الاولى سنة خمس واربعين وثلاثمائة فيما كتب في عشية بابها ونقلت الخطبة اليه من جامع الاشياخ على يد الامير حامد بن حماد الهمداني عامل عبد الله الشيعي حين تغلب على فاس سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وكان اول خطيب خطب به الفقيه الصالح ابو الحسن بن محمد الصدفي فلم يزل الامر على ذلك الى ان زيدت فيه الزيادة المشار اليها على يد احد عمال الناصر لدين الله ولم يزل كذلك الى ان انتهى الناصر الموحد سنة ستماية انه يحتاج الى اصلاح والبناء فامر ببناء الباب الكبير الجوفي الذي به المدرج وسبعة عشر وشبابيك واما المدرجة اربع عشرة درجة وباسفل ادراجه شباك من خشب الارز فيه ثلاثة ابواب في الاوسط منها جملة من الحجر الاخضر ينفجر لها الماء من عين هناك وهو ادرج صمودة الذي يمر باسفل هذا الباب الاكبر المذكور ليغسل الخطاة اقدامهم وضع باعلى هذا الباب قبتان احداهما من جص مقربسة من داخل والثانية من خشب الارز من خارجه وكانه بها طلسم الخطاف فلا يدخل عليها ولا يبيت بها ولا يتعشش فيها وتعطل في سنة عشرين وسبعماية وامر امير المؤمنين الناصر ببناء سقاية وجعل لبيت صلاة النساء وعليها مصرية لاجل الجامع وذلك عن يمين الخارج من باب المدرج المذكور وبالقرب منه وذلك دار وضوء تحاكي التي بجامع القرويين وخصتها امير بعملها السيد ابو زكريا يحيى بخلفا الموحدين وانفق فيها من ماله ولم تزل الجامع كذلك الى ان اعتلت

سقفه وجملة من سواريه فاتهن خطيب الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد بن ابي قاسم بن حسونة امر هذا الجامع لامير المسلمين ابي يعقوب رحمه الله فاصلاحه على ما هو الآن عليه وذكر في سنة خمس وتسعين وستماية وكان الناصر الموحد قد جلب الماء من عين بخارج باب الحديد فاغتسل في حواضع وجلب له الماء من وادي مصمودة الى ايالة امير المسلمين ابي ثابت عامر فاجلب الماء من العين التي بخارج باب الحديد وبناء السقاية بالجهة الغربية من جوفيه وذلك سنة سبع وتسعماية وعدد بلاطاته من شرق الى غرب خمس عشرة بلاطا بعد تعديل الخرافة بالماء وفي طوله على هذا من قبلة الى جوف خمسة عشر وفي عرضه كذلك ويكون في البلاط الواحد واسطينه من اشخاص المصلين ثلاثمائة شخص فعدد ما يملأه من المصلين على هذا اربعة الاف شخص وحائيا شخص وعدد سواريه ماية سارية واربع وثلاثون سارية

واما صومعته فسبعة اظهر وجه منها ستة عشر شبابيك وفيها من الادراج اربع وسبعون درجة وارتفاعه سبعون شبرا فيما ذكروا وفي اعلى هذه الصومعة قبة لجلوس المؤذنين للتداول للاذان وعدد المؤذنين والصومعة في هذا الجامع عشرون شخصا ولهم اعواد وفوانيد معلقة عندهم وقد عمل في اعلى هذه الصومعة صاري من خشب ينشر فيه علم ابيض في اوقات صلاة النهار وفنار مسوج في اوقات الليل في اول ايالة مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله والمعروف بهذه الصومعة يعتقدون في اذانهم باذان اهل جامع القرويين على العادة القديمة المتداولة الى الآن وعدد شرفاته الكبار والصغار احد عشر وسقوف شرفاتها الكبار منها خمس قد علقن بالبلاط الاوسط منه وبقيتهن وسائر الجامع في حواضع معلقة منه وفيه من الصجيات العراقية خمس بقرب محرابه وثلاثون بسائره وفي رسم صحنه من الاجر مرشوق الى غرب ماية صف واثنان وثلاثون نصفا في كل صف ماية آجرة وعشرون آجرة فيصح في تكسيره تسع وعشرون الف آجرة واربع وستون آجرة وهذا الجامع من الابواب تسعة منها من الجانب الغربي ثلاثة ومن الجوف باب المدرج المذكور ومن الجانب الشرقي في خمسة منها اثنان لا يدخل منها لمقدم الجامع الاعظم يصلي فيه على الجنائز ومن مقدم الجامع وهي الاعظم بابان مدرجان احدهما عن يسار المحراب لدخول الخطباء ومنها اذا صعدوا صلاة الجمعة والثاني عن يمين المحراب والمنبر وعنه يخرج الخطيب يوم الجمعة للخطبة وعنه يتوجه للصلاة على الجنائز وكان جملة من الفقهاء يرون ان العلم

فواضح من هذا وكانوا اهل شورى ممن يقتدى بهم يقصدهم الناس من اقطار
البلاد ممن يجرد لتلاوة القرآن ومن يدرس ومن طالب لما شاء من فنون
العلم في مجالس شتى عنده وكان ايام جلة من العلماء والعباد يلذ هو نفسه قد
تفرغوا للعبادة بعد تحصيل العلم ويقصدهم الناس للفتاوى وطلب العلم
والادب والتماس الدعاء من المتعففين الملازمين لهذا الجامع الفقيه الصالح
الولي الورع جبر الله بن القاسم الاندلسي نزيل عدوة الاندلس من
فاس وهو ممن ادخل علم مالك اليها وهو من مشاهير فقهائها
لقي احمد بن الفرج وسمع منه كذا قال صاحب المدارك حدث عنه انه
رجلا رأى في النوم قائلا يقول له ان شئت ان ترى نظير معاذ بن جبل فصار
في الجانب الغربي من جامع الاندلس فالرجل الذي يدخل وعليه برنس وصفته
كذا وكذا هو ذاك فدخل الرجل ذلك فاذا هو جبر الله بن القاسم على الصفة التي
ذكرله القائل في النوم وهو رضي الله عنه ممن لحق دراس بن اسماعيل رضي الله
عنه وبذكر ان دراسا لما قدم بكتاب محمد بن المواز قال له جبر الله بن القاسم
ما الذي جيت به فاخبره على الكتاب المذكور فقال له اذكر عنه فجعل دراس
يذكر المسائل وجبر الله يجيبه بما حفظ وعلم يحفظه قاسه على اصول
اصحاب مالك فما خالف كتاب محمد بن المواز الا في مسالة الثور اذا اشتراه
انسان في اوان الدراس ولم يشترط انه دراس فوجده لا يدرس فهل
هو عيب يرد به ام لا كذا في خط الفقيه ابي عبد الله محمد بن القاضي
الاعدل ابي العباس احمد بن اليعمور الغساني رحمه الله
كان يلتزم هذا الجامع وولي القضاء بعدوة الاندلس الفقيه الصالح القاضي
الاعدل الورع ابو محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد الانصاري قدم قرنة
بشاور به ونزل في جملة بني حسان من علوة فاس الاندلس وكان عدلا
في احكامه ورعا لا تاخذه في الله لومة لائم رجلا الى الفقه وان ولي به
الحافظ الفقيه ابا محمد بن ابي زيد رحمه الله وشاهد تاليفه للموازية
وكان عنده من رجال المدونة وكانا رحمه الله اخرج زيادات تختص ابن
ابي زيد على المدونة ثم ولي القضاء بفاس كما ذكر وكان رضي الله عنه رجلا
متقللا من الدنيا مجتهدا في الاحكام مقيما الحدود اكلها قتلا وصلبا
وقطع الايدي واقام اللعان ولما توفي رحمه الله طلب في فاس من يعاطه
في شئ فلم يوجد له معاطل فبحث عن سمته ونزيته من اين هيئته فوجد
له صاحب
صاحب بمكناسة الزيتون يشتري له الزيت ويبعثه اليه وكان له
يقترن ويا تيه قوته من هواره وزوجته تغزل له كسوته من القطن
القطنية حدث عنه انه نزل به ضيف وهو قاض ولم يكن عنده في ذلك
الوقت ما يقيم به ضيافة ضيفه فاعطته زوجته شيا من غزلها فاعطاه
للبقال كان يقترب منه ترفقا في شئ من ثمن فاعطاه ثمنا حار الم يقدر
على اكله فلما كان احد ايام وهو قاعد في حوضع احكامه وصل اليه ذلك
البقال مع رجل آخر يطلبه بشئ لم قبله فلما رآه القاضي قام من مجلسه
وقال لبعض جلسائه احكم بين هؤلاء فاني اقوم الى شغل فحكم ذلك الرجل
بينهما وانصرفا فلما رجع القاضي الى موضعه اعلمهم انه ذلك البقال
فعل معه كذا وكذا وقص عليه امر السمن وخشيت الآن ان يجلس بين
يدي المحكومة ان تميل نفسي عنه او لا اسمع منه كما اسمع من خصمه
فتركت القضاء بينهما لاجل ذلك توفي رضي الله عنه سنة احدى واربعماية
وقبره شهير بباب الجيسة عليه والدعاء عليه مستجاب ينفع
الله به ومن
الشيخ الفقيه ابو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف
ابن النحوي رحمه الله ونفع به من اهل العلم والزهد والجد والاجتهاد
وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة وحدث عنه انه لما دخل الروم مدينة
صقلية خرج منها من كان من اهل الاسلام وخرج منها رجل من اعيانها
وكان معه اهله حصل ببلاد الاسلام عن ظمأ ليلة فراى النبي صلى الله
عليه وسلم في المنام فقال له يا رسول الله ابتليت بالجلاء عن بلادي وعن مالي
ثم فقدت بصري قال فاجريه النبي صلى الله عليه وسلم يده على وجهه فابصر
الرجل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اقرا السلام مني على اخي عيسى فاستيقظ
الرجل وقد رجع اليه بصره وكان يرى انه يدرك مدة عيسى عليه السلام
ثم توفي الرجل بعد ذلك فاخبر الفقيه ابن النحوي بخبر الرجل فقال رحمه الله
ما اراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله للرجل اقرا السلام مني على اخي عيسى يدرك
زمانه وانما اراد عيسى عليه السلام كان يسوغ في اليقظة وانا ابراتك
في المنام وحكى عن الشيخ الصالح ابي الحسن علي بن حرزهم
رحمه الله انه قال لي والدي رحمه الله احكى للفقيه ابن النحوي واسالا
في الدعاء فانه رجل صالح فاتيت المسجد الذي كان يصلي فيه فوجدته فيه
وذكر عند صلاة المغرب فسلمت عليه فقال لي ابن كنت فقلت له

www.alukah.net

كتاب تحفة الأديب
لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن
ابن سليمان بن حمدون
القيسي الغرناطي
رحمه
الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن اسمعيل بن حزرهم فوعى لي ثم اقيمت الصلاة فدخل المحراب ليكبر فرأيت
الشيب الذي على منكبيه يرتعد لما غلب عليه من الهيبة والخوف ومسلم
الشيخ الصالح ابو عبد الله بن الحوبن دسق كان رحمه الله ينفع به مشهورا
بالخير والعفاف وكان اماما بجامع الاندلس شرفه الله بالذكر فيه من مدينة
فاس خرج الى الحج وجاهد في سبيل الله حكى عنه رضي الله عنه انه الوالي وجرح الم
انه يتولى قضاء مدينة فاس عدوة الاندلس فامتنع كل الامتناع ولم يقدر
عليه في الحالة لما اراد فعله فامر بسجنه وتكبيله وان يكون سجنه في داره
فبقي على تلك الحالة مدة فلما كان يوم جمعة امر مملوكا له يسمى سليمان
ان يقربه لما ياتي يتوضأ به للصلاة على العوف الوضوء الخ الكبل من
رجليه من غير واسطة كرامة له نفع الله به وقصدنا بهذه الحكايات
وامثالها البركة في نشر اعمالهم ورجاء تنزل الرحمة عند ذكرهم وذكر
اعمالهم قال ـــــ لسعيد بن عيسى رضي الله عنه عند ذكر الصالحين
تنزل الرحمة وقال ـــــ بعض الشايخ الصالحين
حيث من جنود الله تعالى يثبت بها قلوب اوليائه قوله وشاهده قوله
تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال عبد الله
ابن حبيب سمعت محمد بن يونس يقول كنا نرى انفع للقلب من ذكر
الصالحين وقال سفيان للفضيل بن عياض في كلام جرى بينهما انا لم
نكونوا صالحين فانا نحب الصالحين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء
مع من احب ولله در القائل

احب الصالحين ولست منهم ... وارجو ان انال بهم شفاعه
وابغض من بضاعته المعاصي ... وان كنا سوا في البضاعه

وهنا انتهى الكلام القول في قيوته واختصرته والله سبحانه ينفع
بما نويته وقصدته مع اني لست من اهل التاليف ولا من اهل المعرفة
بالتصنيف فمن نظر ما قاله الناس فما عليه فيه تعلم من ياس وانشدت

لعمرك ما عيب المعلى الى الكرم ... وفي الدنا كريم
ولكن اللؤم اذا اشتملت ... وصوح شنارعلى شميم

فمن وجد خطأ فليصلح او زللا فليسمح فالعصمة من الخطا معتذره
والوقات البحث غير مستحضرة والامر كله لله ولا حول ولا قوة الا
بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا الى هنا كمل هذا المختصر بحمد الله وحسن توفيقه